القسم الأوّل

السيرة النبوية

obeikandl.com

obeikandl.com

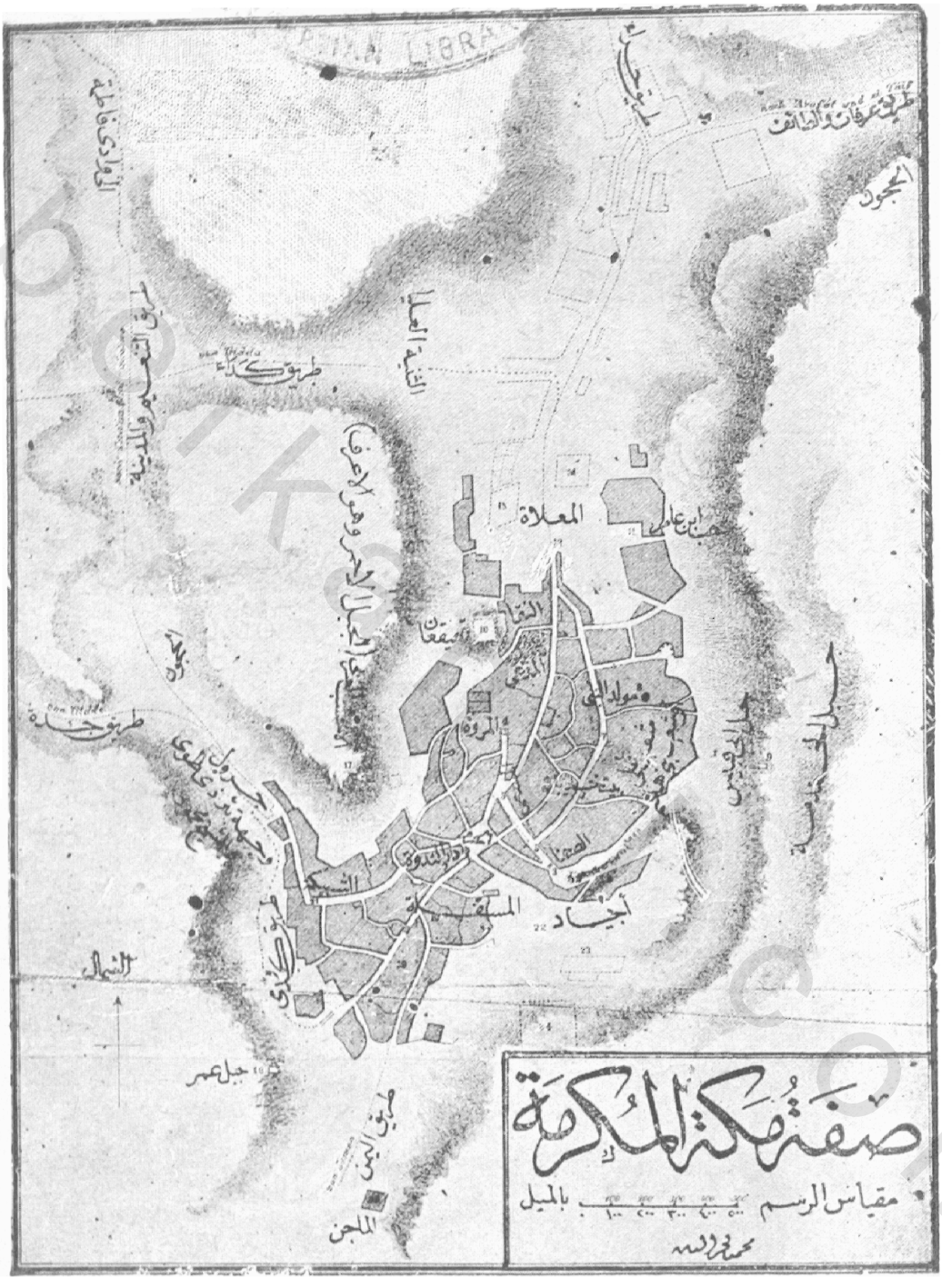
طريق عرفات والطائف
المحجون
طريق كداء
المعلاة
حي ابن عامر
الشبيكة
المسفلة
أجياد
الصفا
المروة
المسجد الحرام
طريق جدة
طريق الشبيكة
جبل عمر
الشمال
المدخل
صفة مكة المكرمة
مقياس الرسم
بالميل
محمد فريد السعد

بسم الله الرحمن الرحيم

« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »

السيرة النبوية

مقدمة

قد اهتم كثير من العلماء الاعلام ، وحفاظ ملة الاسلام بتدوين سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها بلاغ للناس وهدى وموعظة للمتقين . وفيها من الدروس العالية ما يصح أن يتعلم منه أهل السياسة وذوو الرياسة ، وقادة الأمم كيف يسوسون الشعوب ، وكيف يؤسسون الدول والممالك ، وكيف يتوصلون الى أن تكون لهم الكلمة العليا والامر المطاع ، وكيف يعالج الحاكمون أمور المحكومين حتى ينقذوهم من الغى الى الرشد . ويخرجوهم من ظلمات الجهل الى نور العلم . ويرشدوهم الى طريق السعادة .

وكان سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه يقول : كان أبي يعلمنا مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه ، ويقول : يا بنى هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها . وظاهر أن استذكار سيرة المصطفى ومعجزاته بجمل أطواره وأحواله وفضائله وكمالاته وفضائل أصحابه كأنها مشاهدة

ماثلة يراها القوم رأي العين،فيقوي ايمانهم ويتبصرون ويعتبرون .

وممن ألف في سيرة الرسول أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافرى البصرى نزيل مصر الذى رواها عن زياد بن عبد الله الكوفى (وهو من أصحاب الحديث أخرج له البخاري ومسلم) عن ابى بكر محمد بن اسحاق مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ، ويقال فى نسبه المطلبي وهو من كبار المحدثين ولا سيما فى المغازي والسير .

وقد سبقه الى ذلك الزهري وسيرته أول سيرة ألفت فى الاسلام وقفى على آثاره أبو الفتح سيد الناس صاحب السيرة التي تسمى «عيون الاثر » ثم على بن برهان الدين الحلبي الشافعى

ومن المحدثين أحمد بن زينى بن أحمد دحلان الذي وضع كتابا فى السيرة النبوية لخص فيه ماوثق به من السير وحذف المباحث التي تزيد على المراد مما جعل السيرة بحيث يسهل الالمام بها وتكون في متناول الكثير من الناس .

ومما يدل على عناية المسلمين بسيرة نبيهم أن تصدى بعض علمائهم الى شرح ما وضع من السير وتفسير ما اشتمل عليه حديثها ، مثل الفقيه المحدث ابى القاسم عبد الرحمن الخثعمى السهيلى المولود بمدينة مالقة سنة ٥٠٨ هجرية وهو الذى وضع كتابه الروض الانف لشرح سيرة ابن هشام ، ويكاد يكون سيرة مستقلة لأنه تدارك كثيرا مما فات ابن هشام ، وهذا الى ماعنى به من شرح الألفاظ اللغوية التى جاءت في منثورها ومنظومها

وقد شرح هذه السيرة أيضا الحافظ المحدث أبو ذر بن محمد

ابن مسعود الخشني شرحا قصد فيه بيان ما استبهم من غريبه ومعانيه ، وايضاح ما التبس تقييده على حامله وراويه ، مع اختصار لا يخل وايجاز يتم به البيان ويستقل

ومن عجب أن يقوم بطبع هذا المؤلف ونشره امبراطور المانيا وملك بروسيا ، وملك ورتمبرج ، مما يدل على أن أهل الأديان الاخرى عنوا أيضا كثيرا بالبحث فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشر الكتب النادرة القيمة التى تصدت لشرحها

ولايخفى أن السير تجمع الصحيح والسقيم والضعيف والمرسل والمنقطع والمعضل دون الموضوع . والمفروض فيمن جمعوها حسن النية حتى لايتركوا شاردة مما أثر عن الرسول ، أو روي عنه من غير أن ينقلوها أويدونوها لاليتعبد بها أو تكون عقيدة ، بل لتكون باعثة على حب المصطفي والاقرار بنبوته ورسالته ، والتماس الحق و اقتباس المكارم من سيرته ، وقد قال احمد بن حنبل وغيره من الائمة :

اذا روينا فى الحرام والحلال شددنا ، واذا روينا فى الفضائل ونحوها تساهلنا وفى هذا كفاية .

﴿ مولد رسول الله ورضاعه وأعوامه الى البعثة ﴾

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل . بينه وبين الفيل خمسون ليلة . قيل لليلتين خلتا من ربيع الاول ، وقيل لثمان وقيل لاثنى عشرة منه ، وهذه رواية ابن هشام فى سيرته عمن أخذ عنها ، وأبوه عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب . وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ـ وقد مات عبد الله بعد

شهرين من مولده ، وقيل قبل أن يولد بشهرين ، وقيل بعد أن حملت به أمه بشهرين ، وقيل بعد سنة من مولده ـ مات بالمدينة عند أخوال أبيه بني النجار ، وكان قد ذهب ليمتار لأهله تمرا وهو ابن خمس وعشرون سنة ـ وكفل النبي عليه الصلاة والسلام جده عبد المطلب الذي سمى النبي عند ولادته محمدا وقال انى لارجو أن يحمده أهل الارض كلهم ، ولا يعرف فى العرب من تسمي بهذا الاسم قبله صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر محمد وبقرب زمانه وأنه يبعث فى الحجاز — أن يكون ولداً لهم ، وهم محمد بن سفيان بن مجاشع جد الفرزدق ، ومحمد ابن أحيحة من الأوس ، ومحمد بن حمران بن ربيعة

وقد التمس لرسول الله المراضع فاسترضع له من حليمة بنت أبى ذؤيب ، من سعد بن بكر بن هوازن ، واسم زوجها الحرث بن عبد العزى من بني سعد أيضا . وقد حدثت حليمة أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرضعاء فى سنة شهباء . قالت : فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله فتأباه اذا قيل لها : انه يتيم ، ذلك انا انما كنا نرجو المعروف من أبي الصبى ، فما بقيت امرأة قدمت معي الا أخذت رضيعا غيري . . الى أن قالت : والله لأذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه ، فقال لها زوجها لا عليك أن تفعلى ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة ، فذهبت اليه وأخذته

أما التماس الرضاع فلم يكن محمودا عند أكثر نساء العرب حتى جرى المثل : تجوع المرأة ولا تأكل بثديها ، وكان عند بعضهن لا بأس به فقد كانت حليمة وسيطة فى بنى سعد كريمة من كرائم قومها ، وربما

كانت حليمة ونساء قومها قد طلبن الرضعاء اضطرارا ، للازمة التى أصابتهم، والسنة الشهباء التى اقتحمتهم.

وأما دفع قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم الى المراضع فقد يكون ذلك لوجوه (أحدها) أن يتفرغ النساء الى الازواج (وثانيها) ان ذلك قد يكون منهم لينشأ الطفل فى الاعراب فيكون أفصح للسانه وأجلد لجسمه (وثالثها) انهم كانوا يرون انه عار على المرأة أن تستقل برضاع ولدها ، فهذا ونحوه كان يحملهم على دفع الرضعاء الى المراضع الاعرابيات

قال عليه السلام لابي بكر رضى الله عنه حين قال له: ما رأيت أفصح منك يارسول الله ، فقال: وما يمنعني وانا من قريش وأرضعت فى بنى سعد

وذكر أن عبد الملك بن مروان كان يقول : أضربنا حب الوليد ؛ لأن الوليد كان لحانا وكان سليمان فصيحا ، لان الوليد أقام مع أمه ، وسليمان وغيره من اخوته سكنوا البادية فتعربوا ثم أدبوا فتأدبوا

هذا وقد أجمع أهل السير على حديث شق بطنه وغسل قلبه وهو مع رابته ومرضعته فى بنى سعد مرة ، ثم حصل له هذا ليلة الاسراء مرة أخري ، وان رسول الله حدث أبا ذر الغفارى بعد البعثة بهذا الحديث وقال فى آخر هذا الحديث فكأنى أعاين الامر معاينة ـ ولما حصل هذا الامر قال الحرث بن عبد العزي: ياحليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به ، فقدمت به على أمه فقالت: ما أقدمك به ياظئر ، وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك ،

قالت : فقلت نعم ، قد بلغ الله بابنى ، وقضيت الذى على ، وتخوفت الاحداث عليه ، فأديته عليك كما تحبين ، وكان ابن خمس سنين وشهر ثم لم تره حليمة بعد ذلك الا مرتين ، احداهما بعد تزويجه خديجة رضى الله عنها اذ جاءته تشكو اليه السنة ، وأن قومها قد أسنتوا فكلم لها خديجة فاعطتها عشرين رأسا من غنم وبكرات ، والمرة الثانية يوم حنين

وكان رسول الله بعد عودته مع أمه وجده عبد المطلب بن هاشم في كلاءة الله وحفظه ينبته نباتاً حسنا لما يريد به من كرامته ـ فلما بلغ ست سنين توفيت أمه آمنه بالأبواء بين مكة والمدينة . كانت قد قدمت به على أخوال جده من بنى عدى بن النجار تزوره إياهم ، فماتت وهى راجعه به الى مكة ، وكان عبد المطلب يوضع له فراش في ظل الكعبة وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتي يخرج اليه لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له ، فكان رسول الله يأتى وهو غلام جفر حتى يجلس عليه فيأخذه اعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب اذا رأى ذلك منهم : دعوا ابني ، فو الله ان له لشأناً ، ثم يجلسه معه عليه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع

ولما بلغ رسول الله ثماني سنين هلك عبد المطلب فكفله عمه ابو طالب وكان اليه ومعه ، قيل ان ذلك كان بوصية من عبد المطلب ، لأن ابا طالب وعبد الله شقيقان ، وقد انشدوا رجزاً لعبد المطلب يقوله لابنه ابي طالب

اوصيك يا عبد مناف بعدى ... بمؤتم بعد أبيه فرد

فارقه وهو صنجيع المهد

هذا وقد ولى زمزم والسقاية والرفادة بعد عبد المطلب ابنه العباس وكان أحدث اخوته سنا فلم تزل اليه حتى قام الاسلام فأقرها رسول الله

سفره الى الشام أول مرة

ثم ان أبا طالب خرج فى ركب تاجرا الى الشام ، فلما تهيأ للرحيل وأجمع المسير صب به « مال اليه ، وبالضاد المعجمة تعلق به وامتسك » رسول الله فرق له وقال: والله لأخرجن به معى ولايفارقنى ولا أفارقه أبدا ، فخرج به وهو ابن تسع أو اثنتى عشرة سنة ، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام، وبها راهب يقال له بحيرا فى صومعة له ، قيل انه كان حبرا من يهود تيماء، وقيل انه كان من عبد القيس وكان اليه علم أهل النصرانية . وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا ، ثم أرسل اليهم فقال : انى قد صنعت لكم طعاما يامعشر قريش فأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم . . فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم لحداثة سنه فى رحال القوم تحت الشجرة . . .فقال رجل من قريش مع القوم: واللات والعزى ان كان للؤم بنا ان يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ، ثم قام اليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم ، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا، وينظر الى أشياء من جسده وقد كان يجدها عنده من صفته حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا — جعل يسأله عن أشياء من حاله . . . ثم أقبل على عمه فقال له ما هذا الغلام منك قال ابنى

قال له بحير اما هو أبنك، قال فأنه ابن اخى . قال صدقت ،فارجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ماعرفت ليبغنه شرا فانه كائن لابن أخيك شأن عظيم :فخرج به عمه ابوطالب حين فرغ من تجارته بالشام ،فشب رسول الله والله يكلؤه و يحفظه ويحوطه من أقذار الجاهليه لما يريد به من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلا افضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأحسنهم جوارا واعظمهم أمانه وابعدهم من الفحش والاخلاق التى تدنس الرجال .

شهوده حرب الفجار الاخيرة

ولما بلغ رسول أربعة أو خمس عشرة سنة هاجت حرب الفجار الاخيرة بين قريش ومن معها من كنانه ، وبين قيس عيلان ، وكان لكنانه ولقيس فيها اربعة ايام مذكورة ،منها الثنان عند عكاظ ،ثم يوم الحريرة عند نخلة ، ويوم الشرب الذى قيد فيه ثلاثة من بنى أميه انفسهم كى لايفروا فسموا العنابس «أى الأسود »وقد حضر بعض ايامها رسول الله وقال : كنت انبل على أعمامى ،اى أرد عليهم نبل عدوهم اذا رموه. وكان الذي هاج هذه الحرب ان عروة الرحال من بنى بكر بن هوزان أجار لطيمة للنعمان بن المنذر فقال له البرّاض بن قيس من كنانه أتجيرها على كنانة قال نعم وعلى الخلق ،فخرج فيها عروة الرحال ، وخرج البراض يطلب غفلته حتى اذا كان بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام ،فاتى آت قريشا فقال ان البراض قد قتل عروة وهم فى الشهر الحرام بعكاظ مع هوازن فارتحلوا وهوزان لاتشعر ثم

بلغهم الخبر فاتبعهم فادركوهم قبل ان يدخلوا الحرم فاقتتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم فامسكت هوزان ثم النقو بعد هذا اليوم ابدا والقوم متساندون «اى ليس لهم أمير واحد يجمعهم» لانه كان على كل قبيل من كنانة وقريش رئيس منهم وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم

وكان آخر أمر الفجار ان هوزان وكنانة تواعدوا للعام القابل بعكاظ فجاءو للوعد وكان حرب بن أمية رئيس قريش وكنانة وكان عتبة بن ربيعة بقيا في حجره فضن به حرب وأشفق من خروجه معه فخرج عتبة بغير اذن فلم يشعر والا وهو على بعيره بين الصفين ينادي يامعشر مضر علام تقاتلون؟ فقالت له هوزان ما الذي تدعوا اليه فقال الصلح على ان ندفع اليكم دية قتلاكم ونعفو عن دمائنا قالو وكيف قال ندفع اليكم رهنا منا، قالوا ومن لنا بهذا؟ قال انا، قالوا ومن أنت؟ قال عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس، فرضوا ورضيت كنانة ودفعوا الى هوزان اربعين رجلا فلما رأت عامر بن صعصعة الرهن في ايديهم عفوا عن الدماء واطلقوهم وانقضت حرب الفجار، وكان يقال لم يسد من قريش مساق الاعتبة وابو طالب، فلهما سادا بغير مال

شهوده حلف الفضول

وحضر رسول الله وقد جاوز العشرين حلف الفضول وقال بعد مابعثه الله: «حضرت في دار عبد الله بن جدعان حلفا مايسرني به حمر النعم ولو دعيت اليه اليوم لأجبت» تحالفوا ان ترد الفضول على أهلها وكان هذا الحلف أكبر حلف سمع به واشرفه في العرب، وكان اول

من تكلم به ودعا اليه الزبير بن عبد المطلب ، وكان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصى بن وائل (أبو عمرو) وكان ذا قدر بمكة وشرف . فحبس عنه حقه ، فاستعدى عليه الزبيدى الاحلاف فابوا أن يعينوه على العاص وانتهروه ، فلما رأى الزبيدى الشر أوفى على أبى قبيس عند طلوع الشمس وقريش فى انديتهم حول الكعبة فصاح باعلى صوته :

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائى الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته ... يالالرجال وبين الحجر والحجر
ان الحرام لمن تمت كرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال مالهذا مترك فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان وهو ابن عم عائشة رضى الله عنها ، فصنع لهم طعاما وتحالفوا فى ذى القعدة فى شهر حرام قياما (وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى اليه حقه ، مابل بحر صوفة ، ومارسى حراء وثبير مكانهما وعلى التأسى في المعاش ، فسمت قريش ذلك حلف الفضول وقالوا لقد دخل هؤلاء فى فضل من الامر ، ثم مشوا الى العاصى بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها اليه وقال الزبير فى ذلك.

حلفت لنعقدن حلفا عليهم ... وان كنا جميعا أهل دار
نسميه الفضول اذا عقدنا ... يعز به الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالى البيت أنا ... أباة الضيم نمنع كل عار

وقد تخصص أهل هذا الحلف بالدعوة اليه واظهار التعصب اذا

خافوا ضيما (وان كان الاسلام قد رفع ماكان في الجاهلية من قولهم يا لفلان عند التحزب والتعصب كما حصل بين الحسين وبين الوليد بن عتبة أمير المدينة من قبل معاوية)

(شهوده بناء الكعبة)

وضع رسول الله الحجر فى موضعه حين اختصمت قريش وهو ابن خمس وعشرين سنة وذلك أن قريشا هدمت الكعبة بسبب سيل أصابهم فهدمها ، أونار أحرقتها ، أو لأنهم أرادوا رفعها وتسقيفها، وانما كانت رضما(١) فوق القامة فنقضوها ، وكان أول من ضرب فيها بمعول، الوليد ابن المغيرة المخزومى وحفروا حتى انتهوا الى قواعد ابراهيم، وكانت كل قبيلة تلى طائفة منها ، فكانت بنو عبد مناف تلى الربع وسائر ولد قصى بن كلاب وبنو تميم الربع ،وبنوسهم وجمح وعدى وعامر بن فهر الربع،وابني مخزوم وقبائل من قريش الربع وهو الركن اليمانى . فلما أرادوا أن يضعوا الحجر اختصموا فيه ، وقالت كل قبيلة نحن نتولى رفعه الى موضعه فاقبل رسول الله وكانت قريش تسميه قبل أن ينزل عليه الوحى الامين ، فلما رأوه مقبلا قالوا قد رضينا بحكم محمد بن عبد الله ، فبسط رسول الله رداءه ثم وضع الحجر فى وسطه ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بجانب من جانب الرداء ثم ارفعوا جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه أخذه رسول الله ووضعه بموضعه الذي هو به وسقفوها ولم يكن لها قبل ذلك سقف

---

(١) الرضم . أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط

زواجه خديجة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه خديجة بنت خويلد ، وله خمس وعشرون سنه أو ثلاثون سنة ، وولدت له قبل أن يبعث القاسم ورقية وزينب وأم كلثوم ، وبعد مابعث عبد الله وهو الطيب والطاهر لأنه ولد فى الاسلام ،وفاطمة ، وقيل ان فاطمة ولدت في الجاهلية أيضا

وهى خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وكانت تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها ، وتضاربهم (تقارضهم) اياه بشيء تجعله لهم ، وكانت قريش قوما تجاراً ، فلما بلغها عن رسول الله مابلغها من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه أبعثت اليه فعرضت عليه ان يخرج في مالها الى الشام تاجرا ، وتعطيه فضل ماكانت تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبله رسول الله منها ، وخرج فى مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام فنزل فى ظل شجرة قريبا من صومعة راهب ، فاطلع الراهب منها الى ميسرة وقال له من هذا الرجل الذى نزل تحت الشجرة؟ قال له ميسرة هـذا رجل من قريش من أهل الحرم ، قال له مانزل تحت هـذه الشجرة الا نبي (أى الآن) ثم باع رسـول الله واشتري وأقبل قافلا الى مكة فباعت خديجة ماجاء به فأضعف أو قريبا ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب (واسمه نسطور أو نسطورا) فبعثت الى رسول الله صلى عليه وسلم فقالت . انى قد رغبت فيك لقـرابتك واسطتك (شرفك) فى قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ،

ثم عرضت عليه نفسها وكانت يومئذ أوسط (أشرف) نساء قريش وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا ، كل قومها كان حريصا على ذلك لو يقدر عليه ـ فذكر ذلك لاعمامه فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب أو عمه أبو طالب أو هما معا يتقدمهم أبو طالب حتى دخل على خويلد بن أسد أو أخيه عمر بن أسد اذا كان خويلد قد هلك ، فخطب أبو طالب فقال : الحمد لله الذى جعلنا من زرع ابراهيم وذرية اسماعيل ، وجعل لنا بيتا محجوجا ، وحرما آمنا ، وجعلنا الحكام على الناس ، وبارك لنا فى بلدنا الذى نحن به. ثم ان ابن أخى محمد بن عبد الله من لا يوزن برجل من قريش الا رجح به ، ولا يقاس باحد الا عظم عنه ، وان كان فى المال قل فان المال رزق حائل ، وظل زائل ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك . . فتزوجها وأصدقها عشرين بكرة وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله ولم يتزوج عليها حتى ماتت ـ وكانت تسمى الطاهرة فى الجاهلية والاسلام

وقبل رسول الله كانت عند أبى هالة هند بن زرارة ، وقبل أبى هالة كانت عند عتيق عائذ بن عبد الله بن مخزوم . ولدت له عبد مناف بن عتيق كما ولدت لأبى هالة ولدا اسمه هند كأبيه مات فى طاعون البصرة واثنين أحدهما كان يسمى الطاهر والثانى هالة

والغرض من سرد هذه الفصول ان نبين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نشأ وهو على بصيرة من أمر قومه سواء كان ذلك في احوال السلم أم فى احوال الحرب

﴿ بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبوين كريمين ينتسبان الى أشرف بيوتات العرب ، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب الذي يرتفع نسبه الى معد بن عدنان وليس بين المؤرخين خلاف فى أن عدنان من ذرية اسماعيل بن ابراهيم (صلوات الله عليهما) وهو أبو العرب العدنانية — ولو استقصينا أجداد الرسول عليه السلام وما كان من ذرياتهم لاستوعبنا قبائل العدنانيين عامة وهو مالا يتسع له الوقت ، ولكنه لن يفوتنا أن نحيط بهذا الطرف من آباءه لنعرف منه ماكان من منزلتهم بين قومهم وأن الرسول عليه السلام نشأ من بيت مجد وكرم وسيادة ورياسة ، وأن هذا البيت قد أخرج رجالا من ذوى الشأن سواء أكان لهم فى الجاهلية أم في الاسلام

(١) مضر بن نزار — كانوا اهل الكثرة والغلب بالحجاز من سائر بنى عدنان ، وكانت لهم رياسة بمكة ويجمعهم فخذان عظيمان هما خندف وقيس عيلان — قالى قيس ينسب عامر بن الظرب حكم العرب فى الجاهلية والاعشى ، والاصمعى راوية العرب ، وعنترة الفارس المشهور واحد شعراء الجاهلية الستة ، وهرم بن سنان — ومن قيس بنو هوزان الذين كان منهم بنو سعد بن بكر بن هوزان أظآر النبى صلى الله عليه وسلم ومن خندف خزاعة لا انهم من غسان ، كذا صححه ابن خلدون وكان لخزاعة ولاية البيت قبل قريش فى بنى كعب بن عمرو بن لحى وانتهت الى حليل بن حبشية وهو الذى أوصى بها لقصى أو باعها منه بزق

خمر كما هو معروف ـ ومن خندف أكثم بن صيفي ، وقطرى بن الفجاءة والاغلب بن سالم أبو الاغالبة بافريقية ومن مضر بطون مدركة ن الياس التى من أعظمها هذيل وأسد وكنانة وقريش فمن هذيل عبد الله ابن مسعود وأخوه عتبة (والمسعودى المؤرخ) - ومن أسد زينب أم المؤمنين ، والكميت الشاعر ، والطماح بن قيس الذى سعى فى هلاك امرىء القيس عند قيصر ، وطليحة بن خويلد الذي كان كاهنا وادعى النبوة ثم أسلم ـ هذا وقد كان لمضر ثلاث خصال الاجازة بالناس يوم عرفه والافاضة بهم غداة النحر ، ونسىء الشهور الحرم .

(٣) كنانة ـ وهو المصطفى من ولد اسماعيل كما جاء فى الاثر وكانت ديار بنيه بجهات مكة ، وفيهم بطون كثيرة وأشرفها قريش وهم بنو النضر ابن كنانة وسيأتى ذكرهم ، ثم بنو عبد مناة بن كنانة وبنو مالك بن كنانة فمن بنى عبد منـاة البراض بن قيس قاتل عروة الرحال ، وأبو ذر الغفارى الصحابى وكثير وعزة وسراقة بن مالك الذى اتبع رسول الله ليلة الهجرة بجعالة من قريش ليرده ومن بنى مالك فارس العرب ربيعة بن المكدم .

(٤) قريش ـ وهم بنو النضر بن كنانة الذى كان يسمى قريشا وانما انتسبوا الى فهر لأن عقب النضر منحصر فيه ، لم يعقب من بنى النضر غيره وكان لفهر غالب والحرث ومحارب ـ فمن محارب الضحاك بن قيس صاحب مرج راهط قاتل فيه مروان بن الحكم حين بويع له بالخلافة ومنهم الخطاب بن مرداس سيد الظواهر فى الجاهلية ، وكان يأخذ المرباع منهم وابنه ضرار بن الخطاب من فرسان الاسلام وشعرائه ـ ومن الحرث

أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح أمير المسلمين بالشام عند الفتح وعقبة بن نافع فاتح افريقية ومؤسس القيروان بها

ومن غالب لؤى الذى ولد كعبا وعامرا وبطونا أخري ، فمن عامر عبد الله بن أبى سرح أمير المسلمين فى فتح افريقية أيام عثمان ووالى مصر ، ومن كعب :

العاص

(ا) هُصَيص . ومنهم عمرو بن وائل وعمرو وهشام ابنا العاصى ، وعبد الله بن الزبعري الذى كان يؤذى رسول الله بشعره ثم أسلم وحسن اسلامه ، وعبدالله بن حذافة من مهاجرة الحبشة وهو الذى مضى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى

(ب) عـدى ـ ومن بنيه زيد بن عمرو بن نفيل الذى رفض الاوثان فى الجاهلية والتزم الحنيفه ملة ابراهيم الى أن قتل بقريه من قري البلقاء ، وابنه سعيد بن زيد أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ـ وعمرو بن الخطاب أمير المؤمنين ، وخارجه بن حذافة الذى قتله الحرورى بمصر يظنه عمرو بن العاص

(ج) مرة ـ وكان له تيم ويقظة وكلاب ، فمن تيم عبد الله بن جدعان سيد قريش فى الجاهلية ، وأبو بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ومن يقظة بنو مخزوم ، ومنهم أم سلمة أم المؤمنين وخالد بن الوليد سيف الله وصاحب الفتوحات الاسلاميه والمسيب وابنه سعيد ، وأبو جهل بن هشام بن المغيرة الذى قتل يوم بدر كافرا . وابنه عكرمة كان صحابيا ، وأسلم أخوه الحارث بن هشام وحسن اسلامه وله عقب كثير

ومن كلاب قصى وزهرة - فبنو زهرة منهم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وسعد بن أبي وقاص أمير المسلمين في فتح العراق ومن قصى الذى جمع أمر قريش وأثل مجدهم عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى - فمن بني عبد العزى خديجه أم المؤمنين بنت خويلد بن أسد بن عبد العزي ، والزبير بن العوام بن خويلد أحد العشرة وابناه عبد الله ومُصعَبْ - ومن بني عبد الدار عثمان بن طلحة الذى دفع اليه رسول الله صلى عليه وسلم يوم الفتح مفتاح الكعبه وصارت حجابة البيت الى بنى شيبة بن طلحه من يومئذ

واما عبد مناف وهو صاحب الشوكه فى قريش وسنام الشرف فقد ولد له عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفل - وكان بنو هاشم وبنو عبد شمس متقاسمين رياسة بنى عبد مناف ، والبقية أحلاف لهم - فبنو المطلب أحلاف لبنى هاشم ، وبنو نوفل أحلاف لبنى عبد شمس -

فمن بنى عبد شمس العبلات ، وهم بنو أميه الاصغر ومنهم هند بنت عتبه بن ربيعه بن عبد شمس أم معاويه بن أبى سفيان ، وبنو أميه الاكبر بن عبد شمس ، ومنهم أمير المؤمنين عثمان بن عفان بن العاصى ابن أميه ، ومروان بن الحكم ، وأعقابه الخلفاء الاولون فى الاسلام والملوك بالاندلس ، وابو سفيان بن حرب بن أميه وأبناؤه ومنهم معاويه وأم حبيبه أم المؤمنين . وعتاب بن أسيد بن أبى العاص بن أميه ، ولاه رسول الله على مكة اذ فتحها فلم يزل عليها الى ان مات يوم مات ابى بكر الصديق ، ومن بنى نوفل جبير بن مطعم الصحابى المشهور ، ومن بنى عبد المطلب

قيس بن مخرمة الصحابى وابنه عبدالله بن قيس . وأما بنو هاشم فسيدهم عبد المطلب وكان بنوه عشرة : عبد الله ابو النبي ، وحمزة ، والعباس ، وابو طالب ، والزبير ، والمقوم ، وقيل اسمه الغيداق ، وضرار ، وحجل ، وأبو لهب ، وقثم . وقيل كان له اكثر من ذلك ، وقثم والزبير لاعقب لهما وعقب حمزة انقرض ، ومن عقب ابى لهب عتبة الصحابى . وأما عقب العباس وابو طالب فأكثر من ان يحصر — والبيت والشرف فى عبدالله بن العباس ، ومن بني أبى طالب أمير المؤمنين على كرم الله وجه وأخوه جعفر

ثم نعود الى ذكر عبد المطلب بن هاشم ، فنقول : إن والده هاشما كان قد قدم المدينه فتزج سلمى بنت عمرو أحد بنى النجار ، وكانت لشرفها فى قومها لاتنكح الرجال حتى يشترطوا لها ان أمرها بيدها ، اذا كرهت رجلا فارقته ، فولدت لهاشم عبد المطلب وسمته شيبة وهذا يفسر قول سيف بن ذى يزن وقد وفد عليه عبد المطلب فى قريش حين ملك اليمن : مرحبا بابن أختنا ، لان سلمى من الخزرج وهم من اليمن من سبأ ، وسيف من حمير بن سبا — ثم ان المطلب كان قد قام بامر مكة بعد أخيه هاشم فلما كبر شيبه وبلغ المطلب مكانه ذهب الى بنى عدى بن النجار بالمدينه وعاد به — ولما حضر رحيل المطلب الى اليمن قال لشيبه وقد سمي عبد المطلب (على ما زعمت قريش وترك اسمه شيبه) قال له أنت يا ابن أخى أولى بموضع أبيك فقم بامر مكة فقام مقام المطلب وشرف وساد ، وأطعم الطعام ، وأقرت له قريش بالشرف فلم تزل كذلك ، وكانت تسميه الفضل لسماحته ، ولما تكامل لعبد المطلب مجده ألهم بان يحفر بئر زمزم

لرمي الجمر الاعظم فاعترضته قريش فنذر ان ولد له عشرة من الولد ثم يبلغون معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم قربانا للكعبه ، وما زال بهم حتى أقنعهم فخلوا بينه وبينها ، ووجد في الحفر مالا فرغبوا اليه أن يشركهم فيه فأبى وجعله صفائح وحلى به باب الكعبه - ثم تزوج عبد المطلب النساء فولدن له الاولاد ولما كملوا عشرة قال «اللهم انى قد كنت نذرت لك نحر أحدهم وانى أقرع بينهم فأصيب بذلك من شئت» فأقرع فصارت القرعة على عبد الله وكان أحب ولده اليه وهو شقيق أبي طالب والزبير والمقوم ، أم الأربعه فاطمه بنت عمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، فلما انطلق بعبد الله ليذبحه وأخذ الشفرة علمت قريش فلحقته وقالت له ان فعلت ذلك صارت سنة فى قومك فقال. انى عاهدت ربى وانى موف له ، فقال بعضهم . افده . فقام وهو يقول رجزا ثم أحضر مائة من الابل فضرب بالقداح عليها وعلى عبد الله فخرجت على الابل فكبر الناس وقالوا قد رضى ربك فقال انى معيد القداح فأعادها فخرجت على الابل ، ثم اعادها ثالثة فخرجت على الابل فنحرها ، ونادى مناديه ألا فخذوا لحمها وانصرف عنها ووثب الناس يأخذونها . وصارت الدية على ماسن عبد المطلب ، وهى مائة من الابل

وهذه القصة تروى من وجوه شتى ولعلها موضوعة لتدل على أن عبد المطلب كان ممن يوفون بالنذر وكان الله قد أعطاه من الشرف مالم يعط أحداً : سقاة زمزم ، وحكمته قريش في أموالها وأطعم في المحل ، حتى الطير فى وكناتها ، والوحش فى شعاب الجبل ، ورفض عبادة الأوثان ، ووحد الله جل اسمه ، ووفى بالنذر ، وسن سننا جاء القرآن بأكثرها ،

والسنة من رسول الله بها ، ومنها ألا تنكح ذات محرم ، والا تؤتي البيوت من ظهورها ، وقطع يد السارق ، ونهى عن قتل الموءودة ، وحرم الخمر والزنا والمباهلة (الملاعنه) وألا يطوف أحد بالبيت عريان ، ومنها اضافة الضيف ، والا ينفقوا اذا حجوا الا من طيب أموالهم ، ومنها تعظيم الاشهر الحرم — وكان لكل ولد من بنيه شرف وذكر ، وفضل وقدر ومجد ، وحج أكثم بن صيفي فرآهم فقال من كلام « اذا أحب الله أن ينشىء دولة أنبت لها مثل هؤلاء ، هؤلاء غراس الله لاغراس الرجال » وقد أوصى الى الزبير ابنه بالحكومة وأمر الكعبه ، ولابي طالب برسول الله وسقاية زمزم وقال له قد خلفت فى أيديكم الشرف الذي تعلئون به رقاب العرب

وبالتأمل ترى أن رسول الله عليه السلام نشأ من أشرف بيت فى العرب وأنه لم يكن فى العرب قبيلة الا ولها عليه ولادة أو قرابة ، وان من آبائه وأجداده نشأ رجال كان لهم آثار شتى فى انشاء المجد والشرف وبناء الفخار والحمد . والله يعز من يشاء ويؤتى الملك من يشاء .

اخلاق الرسول عليه السلام

إن صفات الجلال والكمال فى البشر نوعان : ضرورى اقتضته الجبلّة ، ومكتسب وهو مايحمد فاعله . ومن الاخلاق مايتخلص الى أحد الوصفين ، ومنها مايتمازج منهما ، فالضروى المحض هو ماليس للمرء فيه اختيار ، مثل كمال الخلقة ، وقوة العقل ، وصحة الفهم ، وفصاحة اللسان ، واعتدال الحركات ، ويلحق بهذا شرف النسب ، وعز الاهل

والعشيرة ، وأما المكتسبه ، فسائر الأخلاق العلية ، من الدين والعلم والشكر والزهد ، والعفة والمروءة ، والشجاعة والصمت وحسن المعاشرة ، ومن هذه الأخلاق ما هو في الغريزة وأصل الجبلة لبعض الناس ، وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها اكتسابا

وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صفات الجلال الخلقية كمال الاوصاف الخلقية وهذا الى مالا يأخذه عد ، ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص من الكبير المتعال ، مثل فضيلة النبوة ورسالة والاصطفاء والبعث الى الاحمر والاسود ، والمكانة عند ذى العرش والنصر والتأييد بالملائكة

وجميع ماتحلى به الرسول من الخصال المكتسبة والآداب الشريفة يجمعه حسن الخلق ومعناه اعتدال قوى النفس وأوصافها ، والتوسط فيها ، دون الميل الى منحرف أطرافها ، وقد أثنى الله سبحانه وتعالى عليه في قوله « وانك لعلى خلق عظيم » مؤكدا بأساليب التوكيد كلها دلالة على أن نبينا كان في الطرف المحمود من مراتب الاخلاق الفاضلة وأنه قد بلغ من كمالها الغاية ، ومن اعتدالها النهايه

والثابت أنه عليه الصلاة والسلام كان مجبولا عليها فى أصل خلقته وأول فطرته . كما يحصل لنوادر الخلق ، ولم يحصل له شيء منها باكتساب ولا رياضة . الا بجود الهي وعناية ربانيه

ورب قائل يقول : قد نشأ رسول الله بين أتراب من نبت الجاهليه وأولياء عن عبدة الاوهام فكان جديرا أن تتطبع نفسه بما يري ويسمع

من أول نشأته الى زمن كهولته ، وأن يتأثر عقله بالبيئة التي تربى فيها فكيف اتفق هذا مع ما أثر عنه من التحلي بالفضائل والتجافي عن الرذائل ولم يؤثر أن معلما عالج تربيته ولا أن مهذبا قام برياضته؟

والجواب أن الامر جري فى الرسول على غير السنن المعروف - فعاجلته طهارة العقيدة كما بادر اليه حسن الخليقة - وكلما تقدمت به السن زادت فيه الرغبة عما كان عليه قومه مما لا يتفق مع مكارم الاخلاق ولا عجب أن يحوط الله بعنايته من يختار لوحيه ، وبعثه وهداية خلقه ، وأن يختصه من دون بنى قومه بالعقل الراجح والادب الجم الذى لم يعهد أن تزين به نفوس أبناء الاغنياء فضلا عن يتيم فقير كرسول الله ، نعم لا عجب اذا اكتهل الرسول كاملا والقوم ناقصون ، سلما وهم مشاغبون ، صحيح الاعتقاد وهم واهمون ، مطبوعا على الخير وهم بأساليبه جاهلون ، فهو أثر عناية الله به ، والله أعلم حيث يجعل رسالته

وحقيق بمن بلغ من الفضائل غايتها أن يكون لزعامة العالم مؤهلا وللقيام بمصالح الخلق موكلا . لا نريد أن تفهم من هذا أن رسول الله كان ملكا ولم يك من البشر ، لا بل كان بشرا مكملا ، فان مكارم الاخلاق درجات يتفاوت الناس فيها ، وهي أيضا عدد وفير يكفي أن يعد المرء فاضلا باقتناء شيء منها ويكون هذا بالطبع دون من استكملها بمراحل . كرسول الله واخوانه النبيين فهم جميعا كانوا أرقى أخلاقا وأجمع آدابا من أهل البيئة التي عاشوا فيها ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

البعثة وظهور الاسلام

جعل الله لكل مقدور من الامور اذا دنا بشيرا ونذيرا ، يُظهر بها مبادىء ما أخفاه ، لطفا بعباده من فجأة الامور المذهلة أن تصدم ببوادر لاتستدرك ـ ولما دنا مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم انتشر فى الامم أن الله سيبعث نبيا فى هذا الزمان وقد آن أوان ظهوره ، فكان أهل الكتاب يعرفون ذلك من كتبهم وغير أهل الكتاب قد ألهم أولو النجدة منهم أن ينذروا قومهم ـ أما رسول الله فلم يعلم أنه المراد بها والمؤهل اليها فلم يشعر حتى نودي ، ولا تحققها حتى نوجى ، ليكون أبعد من التهمة ، وأسلم من الظنة ، ويكون برهانه أظهر وحجاجه أقهر

وكانت الفوضى الدينية في بلاد العرب قد بلغت أشدها ، ثم اتفق أن قريشا اجتمعت فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويدورون به ، فخلص منهم أربعة نفر نجيا . وقال بعضهم لبعض تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض قالوا أجل ؛ وهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، عبيد الله بن جحش من أسد بن خزيمه ، عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى ابن قصى ، زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزي من كعب بن لؤى وهو ابن عم عمر بن الخطاب

قالوا : تعلموا والله ما قومكم على شىء ، لقد أخطئوا دين أبيهم ابرهيم ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ، ياقوم التمسوا لانفسكم فأنكم والله ما أنتم على شىء ، فتفرقوا فى البلدان يلتمسون

الحنفية دين ابراهيم ،فاما ورقة فاستحكم فى النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب ،وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ماهو عليه من الالتباس حتى اسلم ثم هاجر مع المسلمين الى الحبشة وهنالك تنصر و هلك نصرانيا ،واما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده — وله مع قيصر أخبر يتلخص في أنه حين قدم عليه قال القيصر اني اجعل لك خرجا على قريش ان جاءوا الشام لتجارتهم والامنعتهم، فهم قيصر ان يفعل، ويقال انه توج عثمان وولاه أمر مكة ،فلما جاءهم بذلك انفوا أن يدينوا للملك وصاح قائلهم : الان مكة لقاح لاتدين للملك ، فلم يتم له مراده وكان يقال له البطريق ومات بالشام ولا عقب له

واما زيد بن عمرو فلم يدخل فى يهودية ولانصرانية وفارق دين قومه فاعتزل الاوثان والميتة والدم والذبائح التى تذبح على الاوثان، ونهى عن قتل الموءودة وقال أعبد رب ابراهيم ونادى قومه بعيب ماهم عليه فوكل به الخطاب عمه شباب قريش وسفهاءها ، فلم يدعوه يدخل مكة الاسرا ، ثم خرج يطلب دين ابراهيم ويسأل الرهبان والاحبار فى العراق والجزيرة ،ثم أقبل فجال الشام كلها ولم يرض اليهودية ولا النصرانية هنالك ،وفر يريد مكة حتى توسط بلاد لخم فعدوا عليه فقتلوه

فكان أمر هؤلاء دليلا على شعور عقلاء القوم بوجوب الاصلاح الدينى توطئة لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ولما جد الامر في النبوة ودنا وقتها حبب الله الى رسوله الخلاء بعد أربعين سنة من عمره ، فكان يتحنث بغار حراء في ذوات العدد من

الليالى على عادة كانت لقريش فى التبرز ثم يعود الى أن استدام الخلاء فى الغار فكان يؤتى بطعامه وشرابه ، مضى على ذلك زمان وهو غافل عن النبوة وان كان فى الناس موهوما وعند أهل الكتب معلوما ، الى أن أظهر الله امارات نبوته فأيقظه بها وأرسل اليه جبريل فكان يظهر له ويكلمه ، وربما ناداه من السماء ومن الشجرة ومن الجبل فيذعر لذلك رسول الله ويعود الى خديجة فتقول له استر ، ثم جاءه وقال له « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ؛ اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم . » قال رسول الله : فقرأتها ثم انتهى فانصرف عنى وهببت من نومى فكأنما كتبت فى قلبى حجابا — وانصرفت الى أهلى حتى أتيت خديجة — ثم حدثتها بالذى رأيت فقالت أبشر يا ابن عم واثبت ، ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها فأخبرته فقال : والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتنى ياخديجة ، لقد جاءه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى وانه لنبى هذه الامة ، فقولى له فليثبت ، فرجعت الى رسول الله فأخبرته ، ثم لقيه ورقة وهو يطوف بالكعبة فسأله عما رأى فأخبره فقال له انك لنبى هذه الامة . ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لا نصرن الله نصراً يعلمه

ثم تتام الوحي الى رسول الله وهو مؤمن بالله مصدق بما جاءه منه وللنبوة أثقال ومئونة لا يحملها الا أهل القوة والعزم من الرسل ، وآمنت به خديجة وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله وصدق بما جاء منه فخفف الله بذلك عن

نبيه لا يسمع شيئا مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك الا فرج الله بها عنه اذا رجع اليها تثبته وتخفف عليه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس

ثم فتر عن رسول الله الوحي فترة قيل كانت سنتين ونصف سنة حتى شق ذلك عليه فاحزنه فجاءه جبريل بسورة والضحى فجعل رسول الله يذكر ما انعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة سرا الى من يطمئن اليه من أهله ، ثم افترضت عليه الصلاة . وكان اول من آمن به وصلى وصدق علي بن أبي طالب وهو ابن عشر سنين ، وكان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم زيد بن حارثة مولى رسول الله ، ثم ابو بكر ابن ابي قحافة وكان رجلا مؤلفا لقومه محببا سهلا ، وكان انسب قريش لقريش واعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاجرا ذا خلق ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من أمره لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الله والى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه فاسلم بدعائه عثمان بن عفان والزبير بن العوام بن خويلد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله فجاء بهم رسول حين استجابوا له فاسلموا وصلوا وكانوا الثمانية الذين سبقوا الناس بالاسلام ، ثم سلم ابو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح وابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد ، والارقم بن أبي الارقم ، وعثمان بن مظعون ، واخوه قدامة ، وعبد الله ، والحرث بن المطلب ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل أخت عمر بن الخطاب وأسماء وعائشة بنتا أبي بكر وعامر بن فهيرة مولاه ، وعبد الله

ابن مسعود وعبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد وجعفر بن أبي طالب ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وعمار بن ياسر وصهيب بن سنان ، وخالد ابن سعيد بن العاص وامرأته

ثم دخل الناس في الاسلام ارسالا من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الاسلام بمكة وتحدث به ، ثم ان الله عز وجل أمر رسوله بعد ثلاثة ان يصدع بما جاء به منه وأن يبادي الناس بأمره فقال له « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين »

فلما بادى رسول الله قومه بالاسلام وصدع به ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها فاعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته الا من عصم الله منهم بالاسلام وهم قليل مستخفون — وكانوا اذا صلوا ذهبوا الى الشعاب فاستخفوا من قومه فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب النبي في شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد يومئذ رجلا من المشركين بلحى جمل فشجه ، فكان أول دم أهريق في الاسلام ، وحدب على رسول الله عمه أبو طالب وقام دونه ومنعه ، فمضى الرسول على أمر الله مظهرا لهذا الامر لا يرده عنه شيء .

صعد ذات يوم الصفا فقال يا صباحاه ، فاجتمعت اليه قريش فقالوا مالك ، فقال : أرأيتم ان أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقون ، قالوا بلى ، قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تبالك ! ألهذا جمعتنا ؟

— وقد رأيت أن أبين ما كان بين النبي وقريش على النحو الآتي :

(المرحلة الاولى)

لما رأت قريش ان رسول الله لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن أبا طالب قد حدب عليه ولم يسلمه لهم انبعوا الطرق الآتية

(١) مشى رجال من أشرافهم وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس وأبو سفيان صخر بن حرب بن أمية ، وأبو البختري العاص بن هشام ابن الحرث ، والاسود بن المطلب بن أسد ، وأبو جهل وهو عمرو بن هشام بن المغيرة ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر ، والعاص بن وائل ابن هشام ، فقالوا يا أبا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا ، فاما أن تكفه عنا ، وأما أن تخلي بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه ـ فقال لهم أبو طالب قولا رقيقا وردهم رداً جميلا فانصرفوا ، ومضى رسول الله على أمره يظهر دين الله ويدعو اليه

(٢) ثم شرى الامر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال وتضاغنوا وأكثرت قريش من ذكر الرسول بينها وتذامروا فيه وحض بعضهم بعضا عليه . ومشوا الى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له . ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وقد استهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذه حتى تكفه عنا او نتازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين وانصرفوا

فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم له ؛ ولم يطب نفسا باسلام رسول الله لهم ولا خذلانه فبعث اليه فقال له يابن اخى ان قومك قد جاءونى فقالوا لى كذا وكـذا فابق على وعلى نفسك ، ولاتحملنى مالا اطيق . فظن الرسول أنه قد بدا لعمه فيه بدو . وأنه خاذله ومسلمه. وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه. فقال ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله او أهلك فيه ماتركـته . ثم استعبر فبكى وقام فناداه أبو طالب فقال أقبل يابن أخى فاقبل عليه فقال :اذهب فقل ماأحببت فوالله لااسلمك لشىء أبدا

(٣)ثم ان قريشا حين عرفوا ان أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله واسلامه مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا ياأبا طالب هـذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش (أقوى وأجلد) فخذه فلك عقله ونصره . واتخذه ولدا فهو لك . واسلم الينا ابن أخيك فنقتله فانما هو رجل برجل ـ قال والله لبئس ماتسومونني . اتعطونى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه. هذا والله مالا يكون أبدا . فقال له المطعم بن عدى والله لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه فما أراك تريد ان تقبل منهم شيئا . فقال والله ماأنصفونى ولكنك أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم على فاصنع مابدا لك . فحقب القوم وحميت الحرب وتنابذ القوم وبادي بعضهم بعضا

ثم تزاحفوا على من فى القبائل منهم من أصحاب الرسول الذين اسلموا معه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم

عن دينهم ، ومنع رسول الله منهم بعمه أبو طالب الذي قام عند مارأى قريشا تصنع ماتصنع فى بنى هاشم وبنى عبد المطلب فدعاهم الى ماهو عليه من منع رسول الله والقيام دونه، فاجتمعوا اليه وقاموا معه وأجابوا الى مادعاهم اليه من الدفع عن رسول الله الا ما كان من أبى لهب — فلما رأي أبو طالب من قومه ماسرهم من جدهم معه وحدبهم عليه جعل يمدحهم ويذكر قديمهم وفضل الرسول فيهم ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم

(٤) ثم ان الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم ، فقال يامعشر قريش ان وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بامر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا قالوا: فاقم لنا رأيا نقول به، قال بل أنتم.. فقولوا اسمع قالوا: نقول كاهن أو مجنون او شاعر او ساحر ، فلم يرض واحدة منها وقال: والله ان لقوله لحلاوة ، فتفرقوا عنه وجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد الا حذروه اياه وذكروا لهم خبر امره، فكان ذلك بمثابة اعلان عن رسول الله الى العرب عامة اذ صدر الناس من من الموسم الى بلادهم ولديهم خبر رسول الله يذكرونه الى قومهم

فلما انتشر امر رسول الله في العرب وبلغ البلدان ذكره بالمدينة ولم يكن حى من العرب اعلم بامر الرسول حين ذكر وقبل ان يذكر من هذا الحى من الاوس والخزرج لما كانوا يسمعون من احبار اليهود

(المرحلة الثانية)

١ — ثم ان قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذي اصابهم من عداوة رسول

الله ومن اسلم معه فاغروا برسول الله سفهاءهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ورسول الله مظهر لامر الله لايستخفى بمبادلهم ، بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم وفراقه اياهم على كفرهم ، فاجتمع اشرافهم يوما فى الحجر فذكروا رسول الله فقالوا مارأينا مثل ماصبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط... لقد صبرنا منه على أمر عظيم فبينا هم كذلك اذ طلع رسول الله فاقبل يمشى ثم مر بهم طائفا بالبيت فغمزوه ببعض القول ثم مر بهم الثانية فغمزوه ثم الثالثة فغمزوه فوقف فقال لهم كلمة لم يستطيعوا لها ردا ، وانصرف الرسول حتى اذا كان اجتمعوا في الحجر ايضا حتى طلع عليهم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به يقولون له أنت الذى عبت الهتنا ودينا فقال لهم نعم أنا ثم أخذ أحدهم بمجمع ردائه فقام أبو بكر دونه وهو يبكى ويقول أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله ، فجبذوه من شعره وصدعوا فرق رأسه

٢ — ومر أبو جهل برسول الله عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض مايكره من العيب لدينه والتضعيف لامره فلم يكلمه رسول الله ومولاة لعبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة فى مسكن لها تسمع ذلك ثم انصرف فعمد الى نادٍ من قريش عند الكعبة فجلس معهم فلم يلبس حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحا قوسه راجعا من قنص وكان أعز فتى فى قريش واشد شكيمة فلما مر بالمولاة وقد رجع الرسول الى بيته قالت له ياأبا عمارة لو رأيت مالقى ابن أخيك محمدا آنفا من أبى الحكم بن هشام وجده هاهنا جالسا فآذاه

وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ، فاحتمل حمزة الغضبُ فخرج يسعى لم يقف على أحد معِدًّا لابى جهل اذا لقيه أن يُوقع به ، ونظر اليه جالسا فى القوم فأقبل نحوه ورفع قوسه فضربه بها فشجه شجة منكرة ثم قال: أتشتمه ؟ فأنا على دينه ، أقول ما يقول ، فرُد ذلك على أن استطعت، فقام رجال من بني مخزوم الى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فانى والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا

وتم حمزة على إسلامه فعرفت قريش أن الرسول قد عز وامتنع. وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه ـ فانظر كيف كان ايذاء الرسول سببا فى عطف صناديد قومه عليه ومسارعتهم الى نصرته

المرحلة الثالثة

(١) وقام عتبة بن ربيعة وكان سيدا فى قومه فقال ـ ورسول الله جالس فى المسجد وحده : يامعشر قريش الا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ، ورأى أصحاب الرسول يزيدون ويكثرون ، فقالوا بلى ، فقام حتى جلس الى رسول الله فقال يابن أخى انك منا حيث قد علمت من البسطة فى العشيرة والمكان والنسب وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم و . . . . . فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضا . فقال له قل ، فقال : يابن أخى

ان كنت انما تريد بما جئت من هـذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت إنما تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك . وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ،فقال له الرسول : استمع منى، فقال : أفعل، فقرأ عليه الآيات الأولى من سورة فصلت الى السجدة منها فسجد ، وقال له أسمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك ؟ فقام عتبة الى اصحابه وقال لهم : أطيعونى واجعلوها بى وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منـه نبأ . فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم . وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به ، فقالوا سحرك والله بلسانه، قال هذا رأيى فيه ، فاصنعوا مابدا لكم

(٢) ولما فشا الاسلام بمكة فى قبائل قريش، اجتمع عتبة وأبو جهل وأصحابهما ، وقال بعضهم لبعض إبعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا اليـه أن أشراف قومك قد اجتمعوا ليكلموك فأتهم ، فجاء سريعا وهو يظن ان قد بدالهم فيما كلمهم فيه بداء ، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ويعز عليهم عنتهم ، فكلموه بمثل ما كلمه به عتبه بن ربيعة ، فقال لهم فى بعض كلامه : ما جئت بما جيتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل علىّ كتابا . . . . فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فان تقبلوا

منى فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وان تردوه على أصبر لحكم الله بينى وبينكم،قالوا :فان كنت غير قابل منا شيئا فسل ربك أن يسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصى بن كلاب فانه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل، فان صدقوك وصنعت ماسألناك صدقناك ، وعرفنا به منزلتك من الله ، وانه بعثك رسولا فقال لهم : ما بعثت بهذا اليكم ،فقالوا: فسل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ، وسله فليجعل لك جنات وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى ،فقال: ما أنا بفاعل وما بهذا بعثت اليكم، قالوا: فسله أن يسقط علينا كسفا كما زعمت، فقال :ذاك الى الله ان شاء أن يفعله بكم فعل،قالوا: فقدأعذرنا اليك وانا والله لانتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا ، فقام عنهم ، فقال أبو جهل :ان محمدا قد أبى الا ما ترون وأنى أعاهد الله لاجلسنّ له غدا بحجر ما أطيق حمله ، فاذا سجد فضخت به رأسه ، فأسلمونى عندذلك أو امنعونى، فليصنع بعدذلك بنوعبد مناف مابدالهم، قالوا لانسلمك لشىء أبدا فأمض لما تريدفلما أصبح أخذ حجرا كما وصف وجلس للرسول ينتظره وجلست قريش فى أنديتها تنتظر ما أبو جهل فاعل، فلما سجد الرسول احتمل أبو جهل الحجر وأراد أن يلقيه عليه فما هو الا ان نكص على عقبيه منهزما

فقالوا له: مالك؟ فقال عرض لى دونه فحل من الابل مارأيت مثل هامته ولا أنيابه لفحل قط ، فهمّ بى ان يأكلنى

وعند ذلك قال لهم النضر بن الحرث ، انظروا في شأنكم والله لقد نزل بكم أمر عظيم ، وكان النضر من شياطين قريش وممن كانوا يؤذون رسول الله وينصب له العداوة ، فبعثوه وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط الى أحبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما سلاهم عن محمد فانهم أهل الكتاب الاول وعندهم علم ليس عندنا من علم الانبياء ، فسألاهم فقالوا لهما : سلوه عن [redacted] فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وان لم يفعل فالرجل متقول [redacted] روا فيه رأيكم ، فسلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول ما كان أمرهم ؟ وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ، ما كان نبؤه ، [redacted] لوه عن الروح ماهي ؟ فعادا فقالا : قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد [redacted] جاءوا رسول الله فسألوه عنها فقال : أخبركم بما سألتم عنه غدا ولم يقل ان شاء الله ، فأبطأ عليه الوحى خمس عشرة ليلة حتى أرجفه أهل مكة وحزن الرسول وشق عليه مايتكلم به القوم ، ثم جاءه جبريل بسورة الكهف وفيها أجوبة مسائلهم فلم يزدهم هذا الا عتوا وعناداً

المرحلة الاخيرة

ثم عدوا على أتباع رسول الله فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتتن من شدة البلاء الذى يصيبه ، ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم

وكان بلال مولى أبي بكر لبعض بنى جمح وكان صادق الاسلام —

فكان أمية بن خلف الجمحى يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو فى ذلك البلاء أحد أحد حتى مر به أبو بكر وهم يصنعون ذلك ، وكانت دار أبى بكر فى بنى جمح ، فقال لامية الا تتقى الله فى هذا المسكين ، حتى متى ؟ قال : فانت الذى افسدته فانقذه ، قال : أفعل ، عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه به ، قال قد قبلت فهو لك ، وأخذ أبو بكر بلالا فاعتقه وأعتق معه على الاسلام ستة رقاب بلال سابعهم ومنهم عامر بن فهيرة

وكان بنو مخزوم يخرجون عمار بن ياسر وأبيه وأمه (وكانوا أهل بيت اسلام) اذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله فيقول صبراً آل ياسر موعدكم الجنة ، فاما أمه فقتلوها وهي تأبى الا الاسلام

وكان ابو جهل الذى يغرى بهم فى رجال من قريش ، اذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة ، أتبه وخزاه ، وقال ترکت دين أبيك وهو خير منك ، لنسفهن حلمك ولنفيلن رأيك ولنضعن شرفك ، وإن كان تاجرا قال والله لنكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك ، وان كان ضعيفا ضربه وأغرى به

حدث ابن عباس قال والله ان كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى مايقدر أن يستوى جالسا من شدة الضر الذى نزل به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ويقولوا له اللات والعزى الهك فيقول

نعم افتداء منهم مما يبلغون من جهده

وكان من المعذبين أيضا خباب بن الارتّ الذى قال لرسول الله : أدع لنا ، قال: انكم لتعجلون ، لقد كان الرجل ممن كان قبلكم يمشط بأمشاط الحديد ويشق بالمنشار فلا يرده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله ، والذئب على غنمه

الهجرة الاولى الى الحبشة

ولما رأى رسول الله ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية ، لمكانه من الله ومن عمه أبى طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم: لو خرجتم الى الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه ، فخرج عند ذلك المسلمون الى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة فى الاسلام

وكان أول من خرج من المسلمين من بنى هاشم جعفر بن أبى طالب وامرأته ، ومن بنى أميه عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله وعمرو بن سعيد بن العاص وأخوه خالد وزوجتاهما ، وعبد الله بن جحش وأخوه عبيد الله وامرأته أم حبيبه بنت أبى سفيان ، وأبو موسى الاشعرى وعبد الله بن مسعود وأخوه عتبة ، ومن بني جمح عثمان بن مظعون وأخواه قدامة وعبد الله وغيرهم كأبى عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح ، والمعروف أن الذين خرجوا أولا كانوا عشرة نفر وعليهم عثمان

ابن مظعون ثم خرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون حتى كان جميع من لحق بأرض الحبشة من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا معهم صغارا أو ولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلا ان كان عمار بن ياسر فيهم

فلما رأت قريش أن أصحاب الرسول قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة وأنهم قد أصابوا بها دارا وقرارا، ائتمروا بينهم ان يبعثوا فيهم رجلين من قريش جليدين الى النجاشي فيردهم عليهم ليفتنوهم في دينهم ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها ، فبعثوا عبد الله بن ابي ربيعة بن المغيرة وعمرو بن العاص بن وائل واهدوا معهما هدايا الى النجاشي وإلى بطارقته وكان معهما في ذلك عمارة بن الوليد بن المغيرة وله مع عمرو بن العاص في سفرهما الى الحبشه حديث طويل كان في آخره أن عمرا مكر به وأفسد ما بينه وبين النجاشي حتى صنع بعمارة ما جعله يهيم على وجهه بين الوحوش في الجبال حتى مات في خلافة عمر .

ولما قدم عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص الحبشة ، قدما الى النجاشي وبطارقته تلك الهدايا ثم قالا له: أيها الملك انه قد ضوى الى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا انت ، وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم وهم أعلى بهم عينا (أبصر بهم) وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه. فوافق البطارقه ورغبوا الى النجاشي ان يسلمهم اليهما ، فغضب النجاشي وقال لا افعل ولا يكاد قوم جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على من سواي ، حتي أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، وارسل اليهم فلما جاءهم رسوله تشاوروا فيما يقولون

واتفقوا على ان يقولوا ما علموا وما أمرهم به النبي ، فلما جاء سألهم ماهذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا دين أحد من هذه الملل ؟ فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب فذكر ماكانوا عليه في جاهليتهم حتى بعث الله رسوله فدعاهم الى الله وافراده بالعبادة ، وعدد عليه أمور الاسلام ، ثم قال فصدقناه وآمنا به واتبعناه ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا الى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا فى جوارك ، ورجونا الا نظلم عندك ؛ فقال النجاشى : هل عندك شىء مما جاء به عن الله ؟ فتلا عليه آيات من سورة كهيعص ، فقال النجاشى : ان هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فلا والله لاسلمهم اليكما .

فلما خرجا فكر عمرو فى النكاية بهم وقال والله لآتينه غدا بما استأصل به خضراءهم وجاء النجاشى فى الغد فقال له ان القوم يقولون فى عيسى ابن مريم قولا عظيما ، فأرسل اليهم ، فقال جعفر فى حق عيسى قولا رضيه النجاشى ، وأخذ من الارض عودا ، وقال ماعدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العود ، ثم قال : اذهبوا فأنتم آمنون بأرضى ، ثم قال لبطارقه ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها ، فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ماجاءا به

فلما قدما على قريش ، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب الرسول وردهم النجاشى بما يكرهون ، وكان عمر بن الخطاب قد أسلم فى هذه الفترة وكان رجلا ذا شكيمة لايرام من وراء ظهره ، امتنع به اصحاب الرسول

وبحمزة حتى عازوا قريشا

اسلام عمر بن الخطاب

كان عبد الله بن مسعود يقول ماكنا نقدر على أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه وكان اسلامه بعد خروج المهاجرين الى الحبشة ، وكان يقول ان إسلام عمر كان فتحا ، وان هجرته كانت نصرا ، وان أمارته كانت رحمة مع انه كان من أقسى الناس على من آمن برسول الله فكانوا يلقون منه أذى وبلاء وشدة

ويروى فى حديث إسلامه أن أخته فاطمة وكانت عند سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل ، أسلمت وأسلم بعلها ، وكان يستخفى باسلامه فرقا من قومه ، وكان خباب بن الأرت التميمى النسب الخزاعى الولاء يختلف الى فاطمة يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوما متوشحا بسيفه يريد رسول الله ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ، ومع الرسول عمه حمزة وأبو بكر وعلى فى رجال من المسلمين ممن كان أقام بمكة ولم يهاجر فلقيه نعيم بن عبد الله فقال له : الى أين ؟ قال أريد محمدا هـذا الصابىء الذي فرق أمر قريش ، وسفه أحلامها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها فأقتله ، فقال له : والله لقد غرتك نفسك ياعمر ، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشى على الارض وقد قتلت محمدا ؟ أفلا ترجع الى أهل بيتك فتقيم

أمرهم؟ قال وأى أهل بيتى ؟ قال ختنك وابن عمك سعيد، وأختك فاطمة فقد والله أسلما فعليك بهما فرجع عمر الى أخته وختنه، وعندهما خباب ومعه صحيفة فيها طه يقرئها اياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب فى ناحية وأخذت فاطمة الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ودخل عمر فقال: ماهذه الهينمة التى سمعت؟ فأنكرا، قال بلى لقد أخبرت انكما تابعتما محمدا على دينه، وبطش بسعيد فقامت فاطمة لتكفه فضربها فشجها، فقالا له قد أسلمنا فاصنع مابدالك، فلما رأى عمر ماباخته من الدم ندم على ماصنع فارعوى وقال لاخته: إعطنى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرءون آنفا أنظر ماهذا الذى جاء بهمحمد، وكان عمر كاتبا ـ فقالت له: انا نخشاك عليها، قال: لاتخافى، وحلف بالذي يحلف به ليردنها اليها اذا قرأها، فطمعت فى إسلامه وقالت له: انك نجس على شركك وانه لا يمسها الا الطاهر، فقام عمر فاغتسل فاعطته الصحيفة فقرأها وقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه، وعند ذلك ظهر خباب وقال: ياعمر والله انى لارجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فانى سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الاسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب فالله الله ياعمر، فقال: دلنى على محمد حتى آتيه فأسلم فدله على رسول الله، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد الى الرسول وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته، قام رجل من الصحابة فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا سيفه، فرجع الى الرسول وهو فزع، وقال: هذا عمر متوشحا السيف، فقال حمزة: فأذن له، فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له وان كان يريد شرا قتلناه بسيفه، فقال رسول الله: ائذن له:

فأذن له الرجل، فنهض إليه الرسول حتى لقيه بالحجرة، فأخذ بحجزته أو بمجمع ردائه، ثم جبذه جبذة شديدة وقال: ماجاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى حتى ينزل الله بك قارعة؟ فقال عمر: يارسول الله، جئتك لأؤمن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله، فكبر الرسول تكبيرة عرف أهل البيت من الأصحاب أن عمر قد أسلم. فتفرق أصحاب الرسول من مكانهم وقد عز مافى أنفسهم حين أسلم عمر مع اسلام حمزة، وعلموا أنهما سيمنعان الرسول وينتصفون بهما من عدوهم

ولما أسلم قال: أي قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر فغدا عليه فقال له: أعلمت ياجميل أنى قد أسلمت واتبعت دين محمد؟ فلم يراجعه، وقام يجر رداءه حتى اذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته يامعشر قريش وهم فى أنديتهم حول الكعبة ألا أن عمر بن الخطاب قد صبا فيقول عمر من خلفه كذب ولكنى قد أسلمت

يروى أنه قال: لما أسلمت تذكرت أى قريش أشد لرسول الله عداوة حتي آتيه فأخبره أنى أسلمت قال: قلت أبوجهل، فاقبلت حين أصبحت حتي ضربت عليه بابه، فخرج الى فقال: مرحبا وأهلا يابن اختى، ماجاء بك؟ قال: قلت جئت لأخبرك انى آمنت بالله وبرسوله محمد وصدقت بما جاء به، قال: فضرب الباب فى وجهي وقال: قبحك الله وقبح ماجئت به

مقاطعة قريش لبنى هاشم و بنى المطلب

وهمت قريش بقتل رسول الله وأجمع ملؤها على ذلك وبلغ أمرهم أبا طالب فقال :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى أغيّب فى التراب دفينا

الى آخر ما قال .. ولما علمت قريش أنهم لا يقدرون على قتله وأن أبا طالب لا يسلمه ، وكانوا على بينة بما هو حاصل من أن أصحاب الرسول الذين هاجروا قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا ، وأن النجاشى قد منع من لجأ اليه منهم ، وأن عمر بن الخطاب قد أسلم فكان هو وحمزة مع الرسول وأصحابه ، وأن الاسلام جعل يفشو فى القبائل ، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب على الا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوا فى صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم — وعند ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب الى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبه فاجتمعوا اليه . لم يخرج من بنى هاشم الا أبو لهب فظاهر قريشا ، ولقد أنذر أبو طالب قريشا بسوء مغبة هذا الأمر فى قصيدته التي جاء فيها

أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى * ويصبح من لم يجن ذنبا كذي ذنب

فلم يستمع له أحد — ومن جراء ذلك أقاموا في الشعب سنتين أو ثلاثا ، حتى جهدوا لا يصل اليهم شيء الا سرا أو مستخفيا ، حتى أنفق أبو طالب ماله ، وأنفقت خديجة مالها ، وصاروا الى حد الضر والفاقة ،

وكانوا يأكلون الخبط وورق السمر

كل هذا ورسول الله يدعو قومه سرا وجهرا بالليل والنهار ، مناديا بأمر الله ، لا يتقى فيه أحدا من الناس ، فجعلت قريش (حينما رأت أن الله منعه منها ، وقام عمر وقومه دونه فحالوا بينه وبين ما أرادوا من البطش به)يهمزونه ويستهزئون به ويخاصمونه، وجعل القرآن ينزل بما أحدثوا ، وكان منهم أبو لهب وامرأته أم جميل حمالة الحطب ، والعاص بن وائل السهمى ، وأبو جهل بن هشام، والنضر بن الحرث ، وعبد الله بن الزبعرى ، والوليد بن المغيرة الذى قال : أينزل على محمد وأترك ،وأنا كبير قريش وسيدها ، ويترك أبو مسعود بن عمير سيد ثقيف ، فنحن عظماء القريتين ، وقد اعترض بعضهم رسول الله وهو يطوف بالكعبة فعرضوا عليه أن يعبد ما يعبدون ويعبدون ما يعبد فنزلت فيهم سورة الكافرين

ومما تقدم تعلم أن حصر النبى وقومه فى الشعب لم يك الا فى معنى المقاطعة التى بينوا دائرتها لا أنهم منعوهم أن يخرجوا منه بتاتا

حديث الغرانيق اجمالا

وبلغ مهاجرة الحبشة اسلام أهل مكة ،فأقبلوا حتى دنوا من مكة فعلموا أن الخبر باسلامهم مكذوب ،فلم يدخل أحد منهم مكة الا بجوار أو مستخفيا، وكانوا ثلاثة وثلاثين رجلا ــ وسبب ما بلغهم أن رسول الله قرأ سورة النجم حتى وصل الى قوله : أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ، فزعموا أنه أضاف بعد ذلك (انها الغرانيق العلى وان

شفاعتهن (ترتجى) فطار ذلك بمكة ، وسر المشركون وقالوا قد ذكر آلهتنا بخير ، فسجد رسول الله في آخرها وسجد المشركون والمسلمون ، فمن هنا اتصل بالمهاجرين فى الحبشة ان قريشا أسلموا ـ وهو حديث خرافة لا أصل له ، لأن رواته زعموا أن الشيطان ألقى ذلك في روع رسول الله وهو يتلو الآيات الكريمة وهو طعن صريح على عصمة الرسول في التبليغ عن الله ـ قال ابن اسحاق : هى من وضع الزنادقة ـ وقال القاضى عياض : إن هـذا الخبر لم يخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه أحد بسند متصل سليم ، وانما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم

هذا ولو صح ماقاله نقلة قصة الغرانيق لارتفعت الثقة بالوحى ، وانتقض الاعتماد عليه ، ولكان الكلام في الناسخ كالكلام فى المنسوخ يجوز أن يلقى فيه الشيطان ما يشاء ولانهدم أعظم ركن للشرائع الالهية وهو العصمة ـ على أن وصف العرب لآلهتهم بأنها الغرانيق العُلى لم يرد فى نظمهم ولا فى نثرهم ، ولا كان جاريا على ألسنتهم ، ولا شىء من معانى الغرانيق يلائم الآلهة والاصنام ، حتى يطلق عليها فى فصيح القول الذى يعرض على ملوك البلاغة وأمراء الكلام ـ واعلم أن الأمنية في قوله تعالى « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى » ان تكون له أمنية فى قومه وهى أن يتبعوه ومصوا أهواءهم ، فيلقى الشيطان العثرات فى سبيلها بالوسوسة فى صدور الناس حتى يثوروا فى وجهه ويعاجزوه ويجادلوه ولكن الله غالب على أمره يبعث نور الحق فيمحق ما ألقاه الشيطان من ظلمات الباطل ، ويهب السلطان لآياته فيحكمها ،

ويثبت دعائمها، وينشىء من ضعف أنصارها قوة ، وتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الشيطان هى السفلى، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ، وفى هذا كفاية

عود — وكان أبو بكر الصديق قد أوذى كثيرا فاستأذن النبى فى الهجرة فأذن له فخرج حتى بعد عن مكة يوما أو يومين فلقيه ابن الدغنة مالك أخو بنى الحرث بن بكر بن عبد مناة وهو يومئذ سيد الأحابيش ، فقال له أبو بكر أخرجني قومي وآذونى وضيقوا على ، فقال له ارجع وأنت في جوارى، فرجع فكف القوم عنه ، غير أنه كان يصلى فى مسجده علنا فمشى قريش الى ابن الدغنة وقالوا له : نخشى على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم فمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء ، فلما جاء أبا بكر ذكر له ذلك فقال له : أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله ؟ قال فاردد على جوارى ، قال : قد رددته عليك ، فاعلم ابن الدغنة قريشا وقال شأنكم بصاحبكم

حديث نقض الصحيفة

قام فى نقض تلك الصحيفة نفر من قريش ، ولم يبل فيها أحداً حسن من بلاء هاشم بن عمرو بن ربيعة ، وكان ذا شرف فى قومه واصلا لبنى هاشم، يأتى بالبعير ليلا قد أوقره طعاما حتى اذا أقبل به فم الشعب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبه فيدخل الشعب عليهم ثم يأتى به قد أوقره برا فيفعل به مثل ذلك

مشى هشام الى زهير بن أبى أمية بن المغيرة المخزومى وكانت أمه

عاتكة بنت المطلب فقال : يازهير ، أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ولا ينكحون ولا ينكح اليهم ، أما أنى أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبى الحكم بن هشام ثم دعوته الى ما دعاك اليه منهم ، ما أجاب اليك احد أبدا ـ قال : ويحك ياهشام ! فماذا اصنع ؟ إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معى آخر لقمت فى نقضها حتى انقضها ؟ قال قد وجدت رجلا قال من هو ، قال: أنا ، قال له زهير ابغنا ثالثا ، فذهب الى المطعم ابن عدي فأخبره فانضم اليهما ، وقال له: ابغنا رابعا ، فذهب الى ابي البخترى بن هشام فقال له نحوا مما قال لمطعم فقال: ابغنا خامسا فذهب الى زمعة بن الاسود فأخبره فقال له : وهل على الأمر الذى تدعونى اليه من احد قال نعم : وسمى له القوم فاتعدوا خطم الحجون ليلا بأعلى مكة وهنالك أجمعوا أمرهم وتعاهدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير أنا ابدؤكم فاكون اول من يتكلم ، فلما اصبحوا غدوا الى انديتهم ، وغدا زهير عليه حلة فطاف بالبيت سبعا ثم اقبل على الناس ، وقال لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفه القاطعة الظالمة ، قال ابوجهل: كذبت ، والله لاتشق ، فقال زمعة: انت والله اكذب ، ما رضينا كتابتها حين كتبت، وقال ابو البخترى: صدق زمعة لانرضى ما كتب فيها ولا نقربه ، فقال المطعم: صدقتما وكذب من قال غيرذلك، ونبرأ الى الله منها ومما كتب فيها ؛ فقال هشام نحوا من ذلك ، فلما رأى أبو جهل من اجماعهم قال : هذا أمر قضى بليل تشوور فيه بغير هذا المكان .

وكان أبو طالب اذ ذاك فى ناحية المسجدفقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد أكلتها الا باسمك اللهم

وبهذه المناسبة نذكر هذه الرواية : قال رسول الله لابى طالب ياعم ان الله قد سلط الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله الا اثبتته فيها ، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان فقال : أربك أخبرك بهذا ؟قال نعم. فخرج الى قريش فقال: ان ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا ، فهلم صحيفتكم فان كانت كما قال ابن أخى، علمتم أنكم ظالمون لنا قاطعون لأرحامنا ، وان كان كاذبا علمنا أنكم على حق وأنا على باطل ، فقال القوم رضينا فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فاذا هى كما قال ــ فزادهم ذلك شرا فعند ذلك صنع الرهط من قريش فى نقض الصحيفة ماصنعوا

ولما مزقت الصحيفة بطل مافيها بالضرورة ، وخرج بنو هاشم من الشعب وبنو المطلب وأسلم فى ذلك اليوم بشر كثير ، وقويت نفس أبى طالب واشتد صوته وقال لهم قد تبين لكم أنكم أولى بالظلم والقطيعة ، فنكسوا رءوسهم ، وقالوا : انما تأتوننا بالسحر والبهتان ــ

قريش تحول بين الناس وبين رسول الله

ولما لم يفلحوا في المقاطعة التى استحدثوها أرادوا أن يحولوا بين قصاد مكة وبين الرسول فاتفق أن الطفيل بن عمرو الدوسى قدم مكة فمشى اليه رجال من قريش ، وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا فحذروه رسول وقالوا له فى حديثهم : انما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجه ، وانا نخشى

عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فسمع منهم ولكنه ذهب الى رسول الله فوجده قائما يصلي عند الكعبة فسمع منه ، ثم قال في نفسه انى لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان الذى يأتى به حسنا قبلته ، وان كان قبيحا تركته؟ ـ فلما انصرف الرسول الى بيته تبعه وأخبره بما قال القوم فعرض عليه رسول الله الاسلام وتلا عليه القرآن فأسلم وقال يارسول الله ، انى امرؤ مطاع في قومى وراجع اليهم وداعيهم الى الاسلام ، فلما رجع دعاهم فتباطئو فعاد الى رسول الله فشكاله ما هم فيه فقال الرسول اللهم اهدوسا الى الاسلام ارجع الى قومك فادعهم وارفق بهم ، فلم يزل يدعو حتي هاجر رسول الله الى المدينة فقدم عليه بمن أسلم من قومه بخيبر فاسهم لهم مع المسلمين ثم أقام بالمدينة حتي قبض الرسول وارتدت العرب فسار مع المسلمين الى اليمامة وقتل شهيدا .

وخرج اعشى قيس الى رسول الله يريد الاسلام ومعه قصيدته التي يقول فى أولها

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا

فلما كان بمكة أو قريبا منها اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره فأخبره بقصده ، فقال ياأبا بصير : انه يحرم الزنا ، فقال مالى فيه من أرب ، قال فانه يحرم الخمر ، فقال أما هذه فوالله ان فى النفس منها لعلالات ولكنى منصرف فأتروى منها عامي هذا ثم آتيه فأسلم ، فانصرف فمات فى عامه وكان الذى لقى الأعشى عامر بن الطفيل ـ ويقول بعض المؤرخين ان صح حديث الاعشى وما ذكر له فى الخمر فلم يك هذا

بمكة وانما كان بالمدينة لأن الخمر انما حرمت بالمدينة بعد بدر وأحد ، غير أن هذا يصح أن ينقض بان رسول الله حرم الخمر على نفسه كما حرمها أشراف قومه على أنفسهم وتبعه في ذلك اصحابه فكان تحريمها فيما بينهم كالدين المتبع والله اعلم

وجاء رسول الله عشرون رجلا من نصارى الحبشة حين بلغهم خبره فوجدوه في المسجد فجلسوا اليه وكلموه وسألوه . ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا دعاهم الى الاسلام وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به ، وقاموا عن رسول الله فانصرفوا فاعترضهم ابو جهل في نفر من قريش فقالوا لهم : خيبكم الله من ركب ، بعثكم من وراءكم من اهل دينكم ترتادون لهم لتأتوا بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموهم بما قال لا فقالوا لهم : سلام عليكم لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه ، لم نأل أنفسنا خيرا

والغرض من سرد هذه الحكايات أن نبين أن قريشا لم يكفها ايذاء رسول الله ومقاطعتها قومه عامة من أجله ، فأخذ يعملون الحيلة للحيلولة بين رسول الله وبين من يفد على مكة حتى لا يكون بعض الوافدين عرضة الى هداية الله فيسلم ويعود الى قومه فينشر دين الله

وفي هذه الايام كان الاسراء والمعراج . وحديثهما طويل وبخاصة في أن ذلك كان يقظة أو مناما وان كان الوحي من الله يأتي الانبياء أيقاظا ونياما

وفاة خديجه وأبى طالب

وقبل الهجرة بثلاث ماتت خديجة ، وكانت للرسول وزير صدق، وبعدها بثلاثه أيام مات ابوطالب ، فروى أن الرسول قال : اجتمعت على هذه الامة فى هذه الايام مصيبتان لاأدرى انا بأيهما اشلد جزعا. يعنى موت خديجة وأبى طالب . وكان يقول بعد ذلك : ما نالت قريش منى شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب ــ وذلك أن النفر الذين كانوا يؤذون رسول الله كانوا جيرانه ، ولم يسلم منهم الا الحكم بن أبى العاص وكان أحدهم ، أما الباقون فكانوا يطرحون عليه الاقذار وهو يصلى ، ويحدثون غير هذا مما كانوا لايطمعون به فى حياة أبى طالب ، ولقد كان يعترضه السفيه منهم فينثر التراب على رأسه .

ولما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله مالم تكن تنال منه فى حياة عمرو فخرج الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من اقومه . ورجا أن يقبلوا منه ماجاءهم به من الله عز وجل . فلما انتهى لى الطائف عمد الى ثلاثة نفر من ثقيف هم يومئذ سادة قومهم وأشرافهم وهم عبد ياليل ومسعود وحبيب ابناء عمر وبن عمير ، فجلس اليهم الرسول فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاءهم به من نصرته والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال أحدهم . هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك ، وقال الثانى : أما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال الآخر: والله لاأكلمك أبدا ، لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك ، ولئن كنت تكذب على الله ماينبغى لى أن

أكلمك — فقام رسول الله من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، ثم قال لهم : أكتموا عنى فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس والجؤه الى حائط عتبة وشيبة ابنى ربيعة وهما فيه ، فعمد إلى ظل كرمة فجلس فيه وهما يريان مالقى من سفهاء أهل الطائف ، وهو يقول اللهم أشكوا اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، فتحركت له رحمتهما فدعوا غلاما نصرانيا كان لهما وقالا له : خذ قطفا من العنب ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه . فلما وضع رسول الله يده فيه قال بسم الله فقال الغلام : ان هذا الكلام مايقوله أهل هذا البلاد فسأله الرسول عن بلده ودينه فقال : نصرانى من أهل نينوي ، فقال النبى : من قرية الرجل الصالح يونس بن متي ؟ فقال الغلام وما يدريك ما يونس بن متى ؟ قال : ذاك أخى كان نبيا وأنا نبي . فأكب الغلام على الرسول يقبل رأسه ويديه وقدميه وآمن به — وعاد رسول الله الى مكة

عرض رسول الله نفسه على القبائل

ولما قدم الرسول مكة شرع يعرض نفسه على القبائل فى المواسم يدعوهم إلى الله ويخبرهم أنه نبي مرسل ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله مابعثه به ، وكان يقف على منازل القبائل من العرب فيقول : يابنى فلان انى رسول الله اليكم فكان عمه أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب يلازمه ويقول من خلفه : يابنى فلان ان هذا انما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم الى ماجاء به

من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه

وأتى رسول الله كندة في منازلهم فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه، وكذلك بنو كلب وبنو حنيفة الذين ردوا عليه ردا لم يك أحد من العرب أقبح منهم فيه .

وأتى بني عامر بن صعصعة فقال له رجل منهم وهو بيجرة بن فراس أرأيت ان نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله علي من خالفك أيكون لنا الامر من بعدك ! قال الامر الى الله يضعه حيث يشاء ،فقال: أفنهدف نحورنا للعرب دونك ، فاذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لاحاجة لنا بأمرك ، فأبوا عليه ، ولما صدروا رجعوا الى شيخهم فذكروا له حديث الموسم وما كان من رسول الله في دعوته وما كان منهم في ابائهم . فقال : يابنى عامر ، هل لها من تلاف ، هل لذنا باهلمن مطلب والذى نفسه بيده ماتقولها اسماعيلي قط وأنها لحق ، فأين رأيكم كان عنكم !

ثابر رسول الله على عرض نفسه علي القبائل في المواسم ولايسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف الا تصدي له فدعاه الى الله وكان من هولاء سويد بن صامت أخو بنى عمرو بن عوف ، قدم حاجا أو معتمرا وكان قومه يسمونه الكامل لجلده وشرفه ونسبه ، فتصدى له رسول الله حين سمع به فدعاه الى الله والى الاسلام ، فقال سويد : فلعل الذي معك مثل الذى معى ، قال الرسول : وما معك ؟ قال : مجلة لقمان يعنى حكمته، فقال له الرسول: اعرضها ، فعرضها عليه، فقال الرسول : ان هذا الكلام حسن . والذى معى أفضل من هذا، قرآن أنزله الله على

هو هدي ونور ، وتلا عليه القرآن ودعاه الى الاسلام ، فلم يبعد منه ثم انصرف الى المدينة فقتل يوم بعاث

بدىء اسلام الانصار

لم يك (الانصار) اسما لهم فى الجاهلية حتى سماهم الله به فى الاسلام وهم بنو الأوس والخزرج سكان المدينة وكانت بينهم حروب على الملك . فلما أراد الله اظهار دينه واعزاز نبيه، وانجاز موعده له ،خرج فى الموسم فعرض نفسه على القبائل كما كان يصنع ، فبينما هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا فقال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج قال: من موالى يهود، أي من حلفائهم ، قالوا : نعم ، قال : افلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن ، وكان اليهود يقولون لهم اذا كان بينهم شيء : ان نبيا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم، فلما كلم رسول الله اولئك النفر حتى قال بعضهم لبعض : ياقوم تعلموا والله للنبي الذى توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم اليه ، فأجابوه وصدقوه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام ، وقالوا له : انا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر مابينهم ، وعسى ان يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ، ونعرض عليهم الذى أجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك ، ثم رجعوا الى قومهم وكانوا ستة نفر من الخزرج منهم أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث ورافع بن مالك بن العجلان ، فلما قدموا على قومهم دعوهم الى الاسلام

فأجابوا حتى لم يبق دار من دور الأنصار الا وفيها ذكر من رسول الله حتي اذا كان العام القابل وافى الموسم اثنا عشر رجلا، فلقوا رسول الله بالعقبة وهي العقبة الاولى فبايعوه بيعة النساء اذ لم يكن قد افترض الحرب ـ حدث عبادة بن الصامت قال . بايعنا رسول الله ليلة العقبة الاولى على الا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف ، فان وفيتم فلكم الجنة ، وان غشيتم من ذلك شيئا فأمركم الى الله عز وجل ، إن شاء غفر وان شاء عذب ـ فلما انصرفوا أرسل معهم مصعب بن عمر بن هاشم بن عبد مناف، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الاسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى بالمدينة المقرئ . وبعد ذلك أسلم أشرافهم، ومنهم سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، ثم فشا الاسلام حتي لم يبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون

ثم إن مصعب بن عمير عاد الى مكة وخرج من خرج من الأنصار المسلمين الى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله العقبة من أوسط ايام التشريق، وكان معهم البراء بن معرور فكان يصلى الى الكعبة فلم يتبعه المسلمون وقالوا : والله ما بلغنا أن نبينا يصلى الا الى الشام، وما نريد نخالفه . فظلوا علي حالهم وظل على حاله حتى قدموا مكة فسأل البراء رسول الله فقال له قد كنت على قبلة لو صبرت عليها . فرجع الى قبلة الرسول ، وصلى الى الشام، ولم يأمره باعادة ما قد صلي لأنه كان متأولا

ولما فرغوا من الحج وكانت الليلة التي واعدوا رسول الله لها خرجوا

ومعهم أبو جابر عبدالله بن عمرو بن حرام وكانوا يكتمون أمرهم ممن معهم من المشركين ، بعد أن مضى ثلث الليل وتسللوا تسلل القطا مستخفين حتى وصلوا الى الشعب من العقبة وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا ومعهم امرأتان نسيبة بنت كعب وأسماء بنت عمر ، فطلع عليهم رسول الله ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له — فكان العباس أول متكلم قال يامعشر الخزرج (على التغليب) إن محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وانه قد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم . فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم ، فمن الآن فدعوه ، فانه في عز ومنعة في قومه وبلده ، فقالوا : سمعنا ما قلت ثم قالوا تكلم يارسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، فتكلم الرسول فتلا القرآن ودعا الى الله ورغب في الاسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم ، فأخذ البراء بن معرور بيده وقال : نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا ، فبايعنا يارسول الله فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة ، ورثناها كابرا عن كابر ، فاعترض أبو الهيثم بن التيهان وقال : يارسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا وانا قاطعوها يعني اليهود فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ، فتبسم رسول الله ثم قال : بل الدم لدم والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم مني ،

أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم، أخرجوا الىّ منكم اثنى عشر نقيبا، ليكونوا على قومهم، فانتخبوا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، منهم أسعد بن زرارة وهو أبو أمامة، وعبد الله بن رواحة، ورافع بن مالك، والبراء بن معرور، وعبادة بن الصامت، وسعد بن عبادة — من الخزرج، وأسيد بن حضير، وآخران من الأوس، فقال لهم رسول الله: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم وأنا كفيل على قومى يعنى المسلمين قالوا نعم، وهذه هى بيعة العقبة الثانية — ثم قال لهم رسول الله: ارفضّوا الى رحالكم، فقال له العباس بن عبادة: والله الذى بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا، فقال: لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا الى رحالكم فرجعوا وناموا

أمر قريش بعد العقبة الاخرة

ولما أصبحوا غدت عليهم جلة قريش فقالوا: يامعشر الخزرج انه قد بلغنا أنكم قد جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وانه والله ما من حى من العرب أبغض الينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم، فصمت المسلمون وانبعث المشركون يحلفون بالله ما كان من هذا شىء وما علمناه (وقد صدقوا اذ لم يعلموه) فقام القوم ويقال انهم أتوا عبد الله بن أبى بن سلول فقالوا له مثل ذلك، فقال: ان هذا الأمر جسيم، ما كان قومي ليتفوتوا علي بمثل هذا وما علمته كان، فانصرفوا عنه

وتنطس القوم الخبر أى أكثروا البحث عنـه فوجدوه صحيحا فخرجوا فى طلب القوم فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر فأخذوه فربطوا يديه الى عنقه بنسع رحله وأقبلوا به يضربونه ويأخذون بجمته وكان ذا شعر كثير ويجرونه فلم يخلصه منهم الا أبو البخترى بن هشام إذ أوى اليه ،وقال ويحك! أما كان بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد ، قال بلى والله لقد كنت أجير لجبير بن مطعم بن عدى، وللحرث ابن حرب بن أمية تُجَّارهما ، قال:ويحك! فاهتف باسم الرجلين ففعل ، وجاءهما من قال لهما : ان رجلا من الخزرج ليضرب بالأبطح وانه ليهتف بكما ، قالا: ومن هو ؟ قال : سعد بن عبادة ، قالا: صدق فذهبا فخلصاه

ولما وصل الأنصار المدينة أظهروا الاسلام بها وفى قومهم بقايا من شيوخ لا يزالون على دينهم من الشرك ومنهم عمرو بن الجموح وكان سيدا من سادات بني سلمه وأشرافهم وقد أسلم ابنه معاذ وشهد العقبة وبايع الرسول ، فأسلم

هذا ــ والملحوظ فى بيعة العقبة الآخرة أنها كانت على حرب الأحمر والأسود، أما العقبة الأولى فكانت بعد الاسلام، على السمع والطاعة فى العسر واليسر ، اذ كان رسول الله لم يؤذن له في الحرب، ولم تحلل له الدماء ، انما يؤمر بالدعاء الى الله ، والصبر على الأذى ، والصفح عن الجاهل .

وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ، ونفوهم من بلادهم،فهم بين مفتون فى دينه ، وبين معذب فى أيديهم ، وبين هارب في البلاد فرارا منهم ـ فلما عتت قريش على الله ،

وردوا عليه ما أراده بهم من الكرامة ، وكذبوا نبيه ، وعذبوا من عبده ووحده ، وصدق نبيه واعتصم بدينه ، أذن الله لرسوله في القتال ، والامتناع والانتصار ، ممن ظلمهم وبغى عليهم

فلما أذن له الله تعالى له بالحرب وتابعه هذا الحي من الانصار على الاسلام والنصرة له ولمن اتبعه وآوي اليهم من المسلمين ، أمر رسول الله أصحابه بالخروج الى المدينه ، والهجرة اليها ، واللحوق باخوانهم من الانصار ، وقال : ان الله عز وجل قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها فخرجوا ارسالا ، وأقام الرسول بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة

وكان أول من خرج الى المدينة أبو سلمه المخزومي ، ثم عامر بن ربيعة ، وعبدالله بن جحش ، وأخوه أبو أحمد وبقية أهله ، حتى غلقت دار بني جحش ، ومر بها أبوجهل فقال : هذا عمل ابن أخي هذا ، فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وقطع بيننا ، ثم تابع المسلمون الهجرة ، فهاجر عمر بن الخطاب ، وطلحة والزبير ، وصهيب ، وحمزة ، وزيد بن حارثة ، وعثمان بن عفان ، وغيرهم ولم يتخلف أحد من المسلمين الا من حبس أو فتن الا علي بن أبي طالب وأبوبكر الصديق

الهجرة النبوية

واجتمعت قريش على قتل رسول الله ، وقالوا ليس له اليوم أحد ينصره وقد مات أبو طالب ، واتفقوا على أن يأتوا من كل قبيلة بغلام نهد ، فيجتمعوا على رسول الله فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد ،

فلا يكون لبني هاشم قوة بمعاداة جميع قريش ، وهذا آخر رأى اجتمعت كلمتهم عليه ، ذلك أنهم قد رأو لرسول الله شيعة من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم ، أيقنوا أنهم قد نزلوا دارا ، وأصابوا منهم منعة ، وحذروا خروج رسول الله اليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم . فاجتمعوا فى دار الندوة فى يوم يسمى يوم الزحمة يتشاورون فيما يصنعون فى أمر رسول الله حين خافوه ، فقال قائل منهم : احبسوه فى الحديد واغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله ، زهيرا والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم ـ وقال آخر : لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه الى أصحابه ، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، وقال آخر : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فاذا أخرج عنا فوالله مانبالى أين ذهب ، ولا حيث وقع اذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت ـ الى أن قام أبو جهل فقال : والله ان لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وما هو ؟ قال أرى ان نأخذ من كل قبيلة فتى جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلوه فنستريح منه فانهم اذا فعلوا ذلك ، تفرق دمه فى القبائل جميعا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعقل ، فعقلناه لهم ، فاستحسنوا رأيه وتفرقوا على أن يفعلوا ذلك الذى اشار به أبو جهل واتعدوا الليلة يجتمعون بها عند باب الرسول ليقتلوه

ولما جاءت الليلة الموعودة تربصوا بباب رسول الله حتى ينام فيقتلوه ، وعلم رسول الله بما دبروا ورأى مكانهم من بابه ، فقال لعلى ابن أبى طالب : نم على فراشى وتسج ببردي هذا الحضرمى الاخضر فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم ، وخرج اليهم رسول الله وأخذ الله على أبصارهم « ناموا » فلا يرونه فجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يتلو الآيات الأولى من سورة يس ثم انصرف الى حيث أراد أن يذهب ، ثم انتبهوا فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه التراب ثم جعلوا ينظرون عليا على الفراش فيحلفون أنه رسول الله حتى أصبحوا فقام على رضى الله عنه عن الفراش ، فلما رأوه جاءوا فقالوا له أين ابن عمك ؟ قال : قلم له اخرج علينا فخرج عنكم ، فطلبوا الأثر فلم يقصوا عليه

أما رسول الله فما عتم أن ذهب الى بيت أبى بكر ظهرا وكان لا يخطىء أن يأتي هذا البيت أحد طرفى النهار اما بكرة واما عشيه ، فلما رآه أبو بكر قال ما جاء رسول الله هذه الساعة الا لأمر حدث فتأخر له عن سريره فجلس وقال : أخرج عنى من عندك ، قال : يارسول الله هما ابنتاي ، فقال : قد أذن لى فى الخروج والهجره ، قال ابو بكر الصحبة يارسول الله ، قال : الصحبة ، فبكي ابو بكر من الفرح وكان من قبل يستأذن رسول الله فى الهجرة فيقول له : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا ، فطمع أن يكون رسول الله انما يعني نفسه حتى قال ذلك ا وكان أبو بكر ذا مال فابتاع راحلتين فاحتبسهما فى داره يعلفهما اعداد لذلك ، وقال : يارسول الله ان هاتين راحلتين قد كنت أعددتهما ،

لهذا فاستأجرا رجلا من بكر يقال له عبدالله بن أريقط (وكان مشركا) يدلهما على الطريق ، فدفعا اليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما

لم يعلم بخروج رسول الله الا أبو بكر وأهله ، أما على فقد أخبره الرسول بذلك وأمره أن يتخلف بمكة حتى يؤدى عن رسول الله الودائع التى كانت عنده للناس

ثم خرج رسول الله وأبوبكر من خوخه فى ظهر بيت أبى بكر ، وعمد الى غار بثور ، وهو جبل بأسفل مكة فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما مايقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما اذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة مولاه وراعى غنمه أن يريحهما عليهما فى الغار ليلا ، وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما من الطعام اذا امست بما يصلحهما .

وأتى أبوبكر الغار ليلا فدخله قبل الرسول لينظر أفيه سبع أو حية يقي رسول الله بنفسه ، أما عبد الله بن أبى بكر فقد قام بما عهد اليه خير قيام ، ولذلك كانت أخبار القوم عند الرسول وصاحبه ، وأما عامر بن فهيرة ، فكان يرعى مع الرعيان نهارا ، فاذا أمسى أراح عليهما الغنم فاحتلبا وذهبا ، فاذا غدا عبد الله من عندهما الى مكة أتبعه عامر بالغنم حتى يعفى عليه

ظل الرسول وصاحبه ثلاث ليال بالغار حتى سكن عنهما الناس — ويقال أن القوم اقتفوا أثر الرسول وقد ألهم الله حمامتين وحشيتين فوقعتا أو وقفتا على وجه الغار ، وألهم العنكبوت فنسجت على بابه ، فكان ذلك مما صد المشركين عن دخوله ، وقد قال أبوبكر للرسول وهما

يريان القوم من داخل الغار : لو أن أحدهم نظر الى قدمه لرآنا ، فقال له الرسول : ماظنك باثنين الله ثالثهما ، ولما أبو بكر القوم وبخاصة القافة منهم اشتد حزنه على الرسول ، وقال له : ان قتلتُ فانما أنا رجل واحد ، وان قتلت أنت هلكت الامة ، فقال له الرسول : لاتحزن ان الله معنا

ثم جاء ذلك البكرى الذي استأجراه بالراحلتين فقدم أبو بكر أفضلهما فقال الرسول : لاأركب بعيرا ليس لى ، فقال هي لك يارسول الله ، قال لا ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به ، قال كذا وكذا ، قال : قد اخذتها به ، قال : هى لك يارسول الله ، فركبا وانطلقا ، وأردف أبوبكر عبد الله بن فهيرة خلفه ليخدمهما فى الطريق ، وأخذ الجميع طريق عفان

أما قريش فقد عرجوا ، وهم يفحصون عن الرسول ، على دار أبى بكر فخرجت اليهم أسماء ، فقالوا : أين أبوك ؟ فقالت : لاأدري ، فرفع أبو جهل يده وكان فاحشا فلطم خدها لطمة طرح من جرائها قرطها ، ثم انصرفوا ومكث آل أبى بكر ثلاث ليال لايعلمون أين توجه حتى سمعوا رجلا يتغنى بأبيات والناس يتبعونه الى أعلى مكة وهو يقول

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتى أم معبد

وهى امرأة من بنى كعب من خزاعة ، فعلموا وجهة الرسول فى هجرته مع ابي بكر وهى المدينة ، وسمعت قريش ذلك المغني فأرسلوا الى أم معبد وهى بخيمتها فسألوها هل مر بك محمد الذي من حيلته كذا ، فقالت : لا أدرى ما تقولون ، وانما ضافني حالب الشاة الحائل (التى لم تلقح سنة أو سنتين او اكثر) .

وكان ابو بكر قد احتمل ماله كله معه وهو خمسة آلاف أو ستة

آلاف درهم ، فلما علم أبو قحافة دخل على آل أبي بكر فقال : إني لأراه قد فجعكم بما له مع نفسه ، فقالت له أسماء : كلا يا أبت إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا وما زالت بذلك الشيخ حتى سكن

وجعلت قريش بعد ان الرسول قصد المدينة مائة ناقة لمن يرده عليهم ، فطمع سراقة بن مالك الكنانى أن تكون له ، فأخذ فرسه وسلاحه واستقسم بأزلامه وقداحه ، فعلى الرغم من أنه كان يخرج له السهم الذى يكره ، اقتفى أثر رسول الله وتبعه ، فعثر به فرسه في الطريق جملة مرات وكانوا يتشاءمون اذا عثرت أفراسهم ، فلم يرعه ذلك ولم يثنه عن متابعة الرسول حتى أدركهم ، وكان منهم بحيث يراهم فعثر به فرسه عثرة وذهبت يداه في الأرض وسقط عنه سراقة ، ثم حاول الفرس تخليص يديه وعالج ذلك بشدة حتى انتزعهما وتبعهما دخان كالاعصار ، فذعر سراقة حينئذ وعلم ان الرسول قد منع منه ، وملأ قلبه الرعب ، فما هو الا أن أخذ يناديهم ويعرفهم باسمه ، ويقول : انظروا الى أكلمكم فوالله لا يأتيكم شيئا تكرهونه ، فقال الرسول لأبي بكر : قل له : وما تبغى منا ، قال : تكتب لى كتابا يكون آية بينى وبينك ، فكتب له كتابا وألقاه اليه فأخذه فجعله فى كنانته ورجع الى القوم فلم يذكر شيئا ، فلامه أبو جهل حين رجع بلا شيء فقال له سراقه

أباحكم والله لو كنت شاهدا ... لأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه

علمت ولم تشكك بأن محمدا ... رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

ثم كان لكتاب سراقة هذا شأن بعد فتح مكة وحين فرغ الرسول من أمر حنين والطائف إذ تقدم به الى رسول الله هنالك ، فقبله الرسول ورضى إسلامه

أما رسول الله فقد مضى نحو الساحل حتى عارض الطريق العام أسفل عسفان ومازال يغذ السير حتى قدم قباء على بنى عمرو بن عوف ساعة الضحى — وكان أهل المدينة وماحولها ينتظرون بها على أفواه الطرق حينما سمعوا بمخرجه من مكة حتى اذا حميت عليهم الشمس آووا الى بيوتهم يستظلون بها حتى كانت الساعة التى قدم فيها ، والقوم فى مظالهم بالبيوت رآه يهودى فصاح بهم هذا جدكم قد جاء فخرجوا فاذا هو فى ظل نخلة ، وأبو بكر يظله بردائه فعرفوه

عود — وأما على بن أبى طالب فأقام بمكه ثلاثة حتى أدى عن رسول الله الودائع ولحق برسول الله فنزل معه بقباء حيث نزل

وبقي رسول الله بقباء أربعة أيام وهنالك وضع أساس مسجد لبنى عوف ثم أخرجه الله الى المدينة فكانت كل قبيلة من الانصار تلقاه تقول هلم الينا يارسول الله الى العدد والعدة والمنعة فيقول : خلوا سبيلها فانها مأمورة لناقته حتى مر ببنى عدي بن النجار فقالوا : يارسول الله هلم الى أخوالك الى العدد والعدة فكرر ماقال لغيرهم ، فسارت الناقة غير بعيد ورسول الله واضع لها زمامها لايثنيها به حتى بركت أمام دار بنى مالك بن النجار فنزل ، فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ونزل عليه الرسول حتى بنى مسجده ومساكنه ، وكان يعمل فى ذلك بنفسه ليرغب المسلمين فى العمل ، فعمل الأنصار والمهاجرون ، ودخل عمار ابن ياسر ، وقد أثقلوه باللبن ، فقال قتلونى يارسول الله ، فقال له : ليسوا بالذين يقتلونك انما تقتلك الفئة الباغية

ولما نزل رسول الله على أبى أيوب نزل في السفل ، وأبو أيوب

فى العلوء فرغب الى رسول الله ان ينزل فى العلو ، فقال له الرسول أرفق بنا وبمن يغشانا

وتلاحق المهاجرون الى رسول الله فلم يبق بمكة منهم أحد الا مفتون أو محبوس ، ولم يوعب أهل هجرة من مكة باهلهم وأموالهم الى الله والى رسوله الا أهل دور مسمون منهم بنو جحش وبنو مظعون فان دورهم أغلقت بمكة، وعدا أبو سفيان على دار بنى جحش فباعها فشكوا الى رسول الله فقال لعبد الله بن جحش ، الا ترضى ياعبد الله أن يعطيك الله بها دارا خيرا منها فى الجنة ،قال بلى ، قال فذلك لك

واستجمع لرسول الله اسلام هذا الحى من الانصار ، فلم تبق دار من دورهم الا أسلم أهلها ما عدا جماعة من الأوس فانهم أقاموا على شركهم

ثم كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه اليهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط عليهم ، واشترط لهم

وآخى رسول الله بين أصحابه من المهاجرين والانصار ، وقال : تآخوا فى الله أخوين أخوين ، ليذهب عنهم وحشة الغربة ، ويؤانسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، وليشد أزر بعضهم ببعض . وأخذ بيد على بن أبى طالب فقال : هـذا أخى ، وكان حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله وزيد بن حارثة مولى رسول الله أخوين ، وكان جعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل أخوين ، مع غياب أولهما فى الحبشة ، وكان أبو بكر وخارجة بن زهير من الخزرج أخوين ، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك من الخزرج أخوين ، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ

أخوين ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين، والزبير بن العوام وسلامة بن سلامة أخوين ، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت من بنى النجار أخوين ، وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك أخوين وهكذا حتى انتهى الرسول من إيجاد هذه الرابطة التى ظلت حتى أنزل الله تعالى « وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » فكان ذلك فى الميراث فقط، ثم جعل المسلمين إخوة فى قوله «انما المؤمنون اخوة»

ولما اطمأن رسول الله بالمدينة واجتمع اليه إخوانه من المهاجرين، واجتمع أمر الانصار، واستحكم أمر الاسلام، فرضت الصلاة ،والزكاة والصيام ، وقامت الحدود ، وشرع الحلال والحرام ، وتبوأ الاسلام بين أظهرهم ، وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والايمان، فقام شعراؤهم يتغنون بالقصائد يذكرون فيها ما أكرمهم الله به من الاسلام ، وما خصهم به من نزول رسول الله عليهم ، فنصبت لذلك أحبار اليهود لرسول الله العداء بغيا وحسدا وضغنا لما خص الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم، وانضاف اليهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان عمى على جاهليته، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث الا أن الاسلام قهرهم بظهوره ، واجتماع قومهم عليه ، فظهروا بالاسلام ، واتخذوه جنة من القتل ، ونافقوا في السر ، ومن الاحبار حيى بن أخطب، وأخوه أبو ياسر، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق،وأبو رافع سلام بن أبى الحقيق، وسلام بن مشكم، وكعب بن الاشرف، وعبد الله بن سلام، وكان جدهم وأعلمهم كعب بن أسد ، غير أن عبد الله بن سلام أسلم ، وأمر أهله بالاسلام، وكتم ذلك

عن اليهود ، ولاذ برسول الله فآواه حتى جاء الأحبار يسألون رسول متعنتين فخرج اليهم ابن سلام وشهد الشهادتين وأعلن اسلامه واسلام أهل بيته

وكان ممن انضاف الى اليهود مالك بن الأوس ، ونبتل بن الحرث الذى قال الرسول فى شأنه : من أحب أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث ، وهو الذي كان يقول : إن محمدا أذُن ، وعبد الله ابن أبى بن سلول من بني عوف بن الخزرج ، وكان رأس المنافقين واليه يجتمعون ، وهو الذى قال فى غزوة بني المصطلق : لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، وفى قوله هذا نزلت سورة المنافقين بأسرها

وفى هؤلاء الاحبار من اليهود ، وفى المنافقين من الأوس والخزرج ، نزل صدر من سورة البقرة الى المائة منها

هذا وبعد سبعة عشر شهرا من مقدمه صلى الله عليه وسلم صرفت القبلة الى الكعبة ، فثار اليهود ، وقالوا له : ارجع الى قبلتك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك ، وانما يريدون بذلك فتنته عن دينه ، فأنزل الله القرآن بتسفيههم ، وغاظ اليهود ما كان من اجتماع كلمة الأوس والخزرج بعد تفرقهم ، فدسوا من ذكّرهم وهم مجتمعون في بعض أنديتهم يوم بُعاث وما قيل فيه من الشعر ، فتنازعوا وتفاخروا حتى خرج اليهم رسول الله وقد تواعدوا السلاح والحرب ، فذكرهم بالله وبالاسلام ، فثابوا الى رشدهم ، وعلموا أنها نزغة من نزغات الشيطان ، وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدوهم .

ثم دعا رسول الله اليهود الى الاسلام وزغبهم فيه وحذرهم غير الله فأبوا عليه وكفروا بما جاءهم به ، فكف عنهم الى أن نقضوا عهده فقاتلهم على ما سيجيء

واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم الى المدينة وسيد أهلها عبدالله بن أبي بن سلول لا يختلف عليه فى شرفه اثنان ، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين حتى جاء الاسلام غيره ، فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم ، فجاءهم الله تعالى برسوله وهم على ذلك ، فلما انصرف عنه قومه الى الاسلام ضغن ، ورأى أن رسول الله قد استلبه ملكا ، فلما أن رأى قومه قد أبوا الا الاسلام دخل فيه كارها مصرا على نفاق وضغن ، وكان له مع الرسول شئون الى أن مات منافقا

هذا وكان قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينه يوم الاثنين لثنتى عشرة مضت من شهر ربيع الأول، وهو يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنه ، وذلك بعد أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة ، فأقام بها بقية هذه السنة . والمحرم من السنة التالية ، ثم خرج غازيا فى صفر ، أى بعد سنة كاملة من مقدمه .

شرع القتال

تمهيد — كل من يتخلق بخلق أو ينشأ على عادة يلتزمها التزاما ، أو على دين أو عقيدة خاصة توارثها الأبناء عن الآباء جيلا بعد جيل ، يصعب عليه أن يتحول عن ذلك كله ، إذ أنه مقتنع بأن ما يتخذه

أو ينتحله من هذا حسن، وأن ما عداه قبيح ، ومثل هذا لا تنجح معه وسائل التهذيب الا بعد عناء كبير وقلما يكون هذا الا بعلاج الحكماء من الربانيين ، والجماعات كالفرد ، لا تتحول عما ألفت الا بالوسائل التدريجية المؤسسة على قواعد التربيه وعلم النفس ، والشرائع الالهية مثل أعلى في حض الناس على ترك ما ألفوا من عادة قبيحة ، أو خلق ذميم، أو عقيدة فاسدة ، وهذا الى أحكامها ، انها تحجر وتحظر ، وتحلل وتحرم ، وتطلق وتقيد ، واذ كان المبلغون لهـذه الشرائع الالهية هم الأنبياء، فلا غرابة ان يصدقهم عقلاء قومهم، وبخاصة اذا رأوا المعجزات والآيات البينات ، وأن يكذبهم السفهاء عنادا واستكبارا ، لانهم يرون الأنبياء وما جاءوا به حجر عثرة في طريق تنفيذ رغائبهم وسد مطامعهم ومحو لا هادما لما رسخ في نفوسهم من عقيدة ورثوها، أو بدعة انتحلوها، وكلما كثر حماة الانبياء والمستجيبون لهم، ازداد سفهاء القوم والمخالفون لهم رهبة وبغضا، حتى لقد يتعمدون قتلهم وقتل أتباعهم ، ومن هنا كان من حق الأنبياء ومن اتبعوهم ، الاعتصام بالقوة ودفع الشر بالشر ، قياما بنصرة الحق، ومحافظة على منهاج الشرائع التي فيها خير الجمهور، أن يعطلها جهل الجاهلين، وعناد المعاندين ، وكيد الخائنين ، ولا يكون منهم ذلك الا اذا أذن لهم الشارع في استعمال القوة وهـذا هو الجهاد أو القتال

فمشروعية الجهاد في الشرائع حكمة بالغة لم يقصد منها الا الخير العام وهو حماية الدين وأهـله من جهل الجاهلين وسفه الظالمين وعدوان الذين (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره المشركون) ثم بث منافع الدين ومزاياه في الناس حتى يتبين لهم الرشد

من الغى ـ وربما كان أشد المعارضين للأنبياء وما جاءوا به من الدين القويم ، الملوك ومن على شاكلتهم من أهل الرياسة وذوى السياسة لأنها تقيد ما أطلق من أطماعهم ، فهم الذين يشعرون بثقل الشرائع العادلة ، ويخشون أن تحط من سلطانهم ،أو تحول بينهم وبين جبروتهم ، ومن أجل ذلك يقومون فى وجه صاحب الشريعة معارضين ، ويميل معهم من يميل ، أما رهبة منهم وأما رغبة فيهم ، وبذلك يكون اجرامهم مضاعفا ، اذ لم يقف بهم الامر عند جنايتهم على أنفسهم بصدها عن سبيل الخير ، بل أجرموا على الناس بمنعهم اياهم عن طريق الرشد المحض ـ

وبعد فما جزاء المجرم على هذا الوجه ؟ اللهم ان العقل يوجب قتاله والعدل يستدعى قتل من يشايعه ، لانهم يصدون عن سبيل الله ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس .

والجهاد مشروع في كل دين سماوي ، لان الشريعة قوة ؛ تقف بكل انسان عند حدودها : ولانه فى الاصل لإعلاء كلمة الحق ودفع شر المؤذين ـ والشريعة الاسلامية من الشرائع السموية ، وقد شرع فيها الجهاد كما شرع في ديانة ابراهيم وموسى وداود وسليمان ، وان كان فى الاسلام على وجه أخف ، اذ لم يؤمر النبي عليه السلام أن يبيد المحاربين وما معهم من حيوان كما في شريعة موسى مثلا ، على أن للجهاد فى الشريعة الاسلامية شروطا منها دعوة المحارب الذي بلغته الدعوة الى الاسلام أو الجزية ، وان أبى فحورب ثم جنح للسلم سُولم .

اذا تمهد هذا فنقول : ما الذى دعا حمزة الى ردع أبى جهل عن

حذاء رسول الله ؟ والجواب أن هذا لم يكن من حمزة تأييدا لرسول الله في دعوته من طريق أنه يعتقد أنها الحق ، ولكن كان من قبيل التشيع الى العصبية ، ولم يختص حمزة بهذا الأمر دون بقية بني هاشم ، ومن بينهم أبو طالب ، ولم يكونوا أهل اسلام عند قيامهم بهذا الأمر ، ولا عند مقاطعة قريش بني هاشم وبني المطلب وحصرهم في الشعب منفردين ثلاث سنين — وأما قول الرسول عليه السلام اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك عمر بن الخطاب وأبي الحكم بن هشام فلأنه رأي أنهما في قومهما من قريش بحيث يقتدى بهما فيما يصنعان ، ومن أسلم منهما يمكنه أن يمنع الرسول من أذي المعارضين ليبلغ دعوته جهرا على أنه يريد أن يستعملا سيفهما في رقاب المشركين حتى يقروا بالتوحيد ويصدقوا بالرسالة ، وهذا الذى حصل بعد اسلام عمر ، فان المسلمين بعد أن كانوا يجتمعون خفية في دار الارقم ويصلون الاوقات هناك ، تظاهروا بدينهم واصبحوا يصلون في المسجد على كره من المشركين اذ قد حصل ان عمر بعد أن أسلم قال: يارسول الله: علام نخفي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل ؟ فقال: ياعمر إنا قليل وقد رأيت مالقينا ، فقال عمر: والذى بعثك بالحق لايبقي مجلس جلست فيه بالكفر الا جلست فيه بالايمان ، ثم خرج رسول الله في صفين من المسلمين حمزة في أحدهما وعمر في الآخر حتى دخلا المسجد ذلك لأن عمر كان في منعة من قومه تخوله دفع الأذى عن النبي ممن يتعمدون أذاه إذا جهر بالدعوة ، ولانه كان قدوة صالحة في العرب ، يدل عليها تتابع الناس بعد إسلامه على الدخول في الاسلام ، مع أنه لم يستعمل السيف في إسلام أحد قط لا قبل الهجرة

ولا بعدها ولا في غضون خلافته

وبعد فان مشروعية الجهاد في الاسلام كانت لظروف خاصة ـ وبيانها أن ذلك كان بعد أن أعلن النبي دعوته بين الناس وأخذ الاسلام ينتشر في القبائل ويزداد أهله وبخاصة بعد أن دخل فيه وجوه القوم كحمزة وعمر وأبي بكر وعثمان ، فداخل قريشا من جراء ذلك ما داخلهم من الحقد والحسد الذي أدى الى معارضة الرسول وتسفيهه والبغى عليه والعدوان على أصحابه بكل الوسائل ، فلما أعجزتهم سبل التثبيط وصرف الناس عن استماع كلمة الحق عمدوا الى استعمال العنف فعذبوا من استضعفوا من الذين أسلموا ، وقعدوا للنبي ومن استجاب له كل مرصد حتى لم يجد بداً من الأذن لاصحابه بالهجرة الى الحبشة أولا وثانيا ، ثم اضطر بعد ذلك هو ومن بقى منهم الى ترك مكة والهجرة الى المدينة ـ ومع ذلك لم يرضوا عنه ، بل زاد حنقهم عليه إذ علموا أن الانصار مانعوه بلا شك من كل من يريد به سوءا ولا سبيل لهم بعد ماتم من البيعة أن يضاروه الا بجمع القبائل على حربه ، وإثارة العرب عليه حتى لايغلبهم على أمرهم ، ويسلبهم ما كان في يدهم من سلطة باعتبار أنهم سكان الحرم وسدنة البيت المحجوج ، نعم لم يدعوا وسيلة من وسائل إثارة الخواطر عليه إلا توسلوا بها وانضم اليهم يهود قريظه والنضير ـ فلما اشتد أمر العرب عامة عليه ، وأمر قريش خاصة ، أذن الله له في الجهاد ، جهاد من بغى عليه وظلمه وتجاوز الحد في أصحابه وقسى عليهم ، لا لاكراه القوم على اعتناق الاسلام بل بقصد حفظ هذه الجماعة المسلمه التي هي بمثابة نواة صالحة تجب المحافظة عليها لنشر هذا الدين القويم تدريجا ـ

أما الذين لم يتعمدوا النكاية بالمسلمين ولم يؤذوهم ، فقد أذن للمسلمين أن يبروهم ويقسطوا اليهم وإن كانوا غير مسلمين، ولم يدخلهم مع المشركين الذين شرع الجهاد من أجلهم لرد بغيهم عن المسلمين فقط. لا لإكراههم على اعتناق الاسلام

هذا وآيات الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه شاهدة بما بينا، اذ أن رسول الله لم يؤذن له فى الحرب، ولم تحلل له الدماء قبل بيعة العقبة وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم و نفوهم من بلادهم، فكانوا بين مفتون في دينه ، وبين معذب فى أيديهم ، وبين هارب فى البلاد فرارا منهم بأرض الحبشه أو بالمدينة أو بجهات أخرى، فلما عتت قريش على الله، وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة ، و كذبوا نبيه ، وعذبوا ونفوا من عَبَدَ اللهَ ووحَّده وصدق نبيه واعتصم بدينه، أذن الله لرسوله فى القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم والاعتداء عليهم بمثل ما اعتدوا عليه من مصادرة وتضييق سبيل الرزق أو قطعها عنهم ـ فكانت أول آية نزلت فى إذنه له فى الحرب وإحلاله له الدماء وقتال من طغى عليهم واعتدى ، قوله تعالى « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله » الى آخر هذه الا يات، ثم نزلت الآية الأخرى وهي « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » أي حتى لا يفتن مؤمن عن دينه « ويكون الدين كله الله » أى حتى يعبد الله لا يعبد معه غيره ـ ومن هذه الآيات قوله تعالى « فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك ، وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف

بأس الذين كفروا » ومن الآيات التي نزلت فى غير من وجب قتاله قوله تعالى « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ـ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » وقوله تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلوكم ولا تعتـدوا ان الله لا يحب المعتدين »

والنتيجة أن الجهاد مشروع ، وأنه كان لرد الباغين على الاسلام وأهله لا لإكراه الناس على اعتناقه ـ أما كيفية دعوة رسول الله الناس الى اعتناق الاسـلام فتتضح من قوله تعالى « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعـلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » ومن ذلك قوله تعالى « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » وقوله « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم »

واعلم أن بعض الملحدين يزعم أن الاسلام قام بالسيف ، ويخلط بين الجهاد وسببه وبين الدعوة الى الدين ـ ولو كان السيف ينصر دينا لاذن رسول الله الى الانصار يوم العقبة الثانية بقتال المشركين والانصار يومئذ أقوى عليهم وأقدر وأعز نفرا ، ولما تخلف بعد فتح مكة عن محاربة من كانوا أشد الناس عداوة له وأعظمهم خطرا على المسلمين ، الى ارسال الدعاة الى القبائل حول مكة يدعون الناس الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد كان معه جيشه الذي فتح به مكة

غزوات النبي وسراياه

لما أذن الله لرسوله فى القتال شرع يستعد لمصادرة أموال قريش وتجارتها التى كانت لاتنقطع مع الشام ، وينتهبها كما انتهبت قريش أموال أصحابه ، لتكون واحدة بواحدة (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي عليكم)

واعلم أن الغزوة هي مايخرج فيها رسول الله مع الناس ، وأن السرية هي إحدي البعوث التي كان يبعثها ولا يرافقها .

وسنقتصر على أهم ما كان من الغزوات والسرايا فى رأينا

سرية حمزة

بعث رسول الله على رأس سبعة أشهر من الهجرة عمه حمزة الى سيف البحر فى ثلاثين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد فلقى أبا جهل فى ثلثمائة رجل من أهل مكة ، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهنى وكان موادعا للفريقين فلم يحصل قتال ، وكان ماصنعه الجهني من الحكم للبون الشاسع بين الفريقين في العدد

سرية عبد الله بن جحش

بعث رسول الله سنة اثنتين عبد الله بن جحش وكتب له كتابا وفيه يأمره بنزول نخلة بين مكة والطائف . فيرصد قريشا ويعلم أخبارهم فسار وهنالك مرت عير لقريش تحمل زبيبا ، وفيها عمرو بن الحضرمي فقاتلوهم فقتل عمرو وأسر رجلان ، وغنم المسلمون العير فكانت أول

غنيمة في الاسلام ، ولما عادوا الى المدينة قال لهم رسول الله ماأمرتكم بقتال فى الشهر الحرام (رجب) فسقط فى أيديهم وعنفهم المسلمون ، وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام فأنزل الله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) الآية، وفرج عن المسلمين وقبض رسول الله الغنيمة

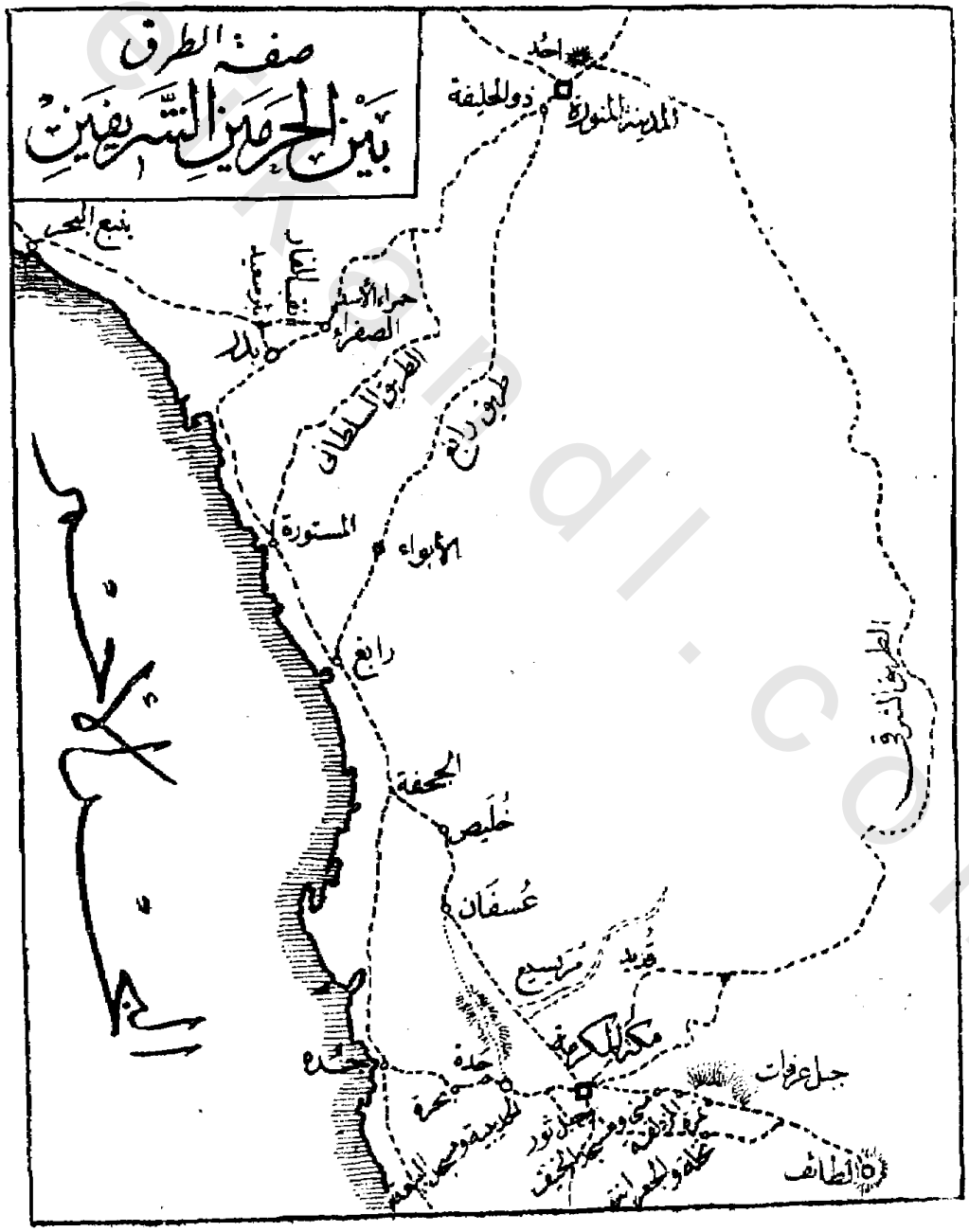

غزوة بدر الكبرى

كانت هذه الوقعة فى السابع عشر من رمضان ، وكان سببها قتل عمرو بن الحضرمى ، واقبال أبى سفيان فى عير لقريش عظيمة من الشام وفيها أموال كثيرة ، ومعها من ثلاثين الى سبعين رجلا من قريش ، منهم مخرمة بن نوفل الزهرى وعمرو بن العاص - فلما سمع بهم رسول الله ندب المسلمين اليهم ، وقال هذه عير قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها

وكان أبو سفيان يتجسس الأخبار ويسأل من لقي من الركبان تخوفا من أمر الناس حتى أصاب أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر واستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى وأمره أن يأتى قريشا فيستنفرهم الى أموالهم فأسرع ضمضم ونادى يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث ، فتجهز الناس وقالوا أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى ، كلا والله ليعلمن غير ذلك ؟ فكانوا بين رجلين : إما خارج وإما باعث مكانه رجلا ، ولم يتخلف من أشرافهم أحد الا أبو لهب وبعث مكانه العاصى بن هشام فى نظير دين كان له على العاصى

أول تخاذلهم : ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ، ذكروا ماكان بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا وخافوهم حتى كاد ذلك يثنيهم ، فتبدي

لهم سراقة بن مالك وكان من أشراف كنانة فقال لهم : أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا

وخرج رسول الله فى أصحابه ، ودفع اللواء الى مصعب بن عمير وجعل على الساقة قيس بن أبى صعصعة — وكانت راية الانصار مع سعد بن معاذ ، فلما كان قريبا من الصفراء بعث رجلين الى بدر يتجسسان له الأخبار عن أبى سفيان ، فسمعا من هنالك أن العير تأتى غدا أو بعد غد، ولم يكن عند رسول الله والمسلمين علم بمسير قريش لمنع عيرهم ثم بعث عليا والزبير وسعدا يلتمسون له الخبر ببدر فأصابوا راوية لقريش فيها غلامان فأتوا بهما النبى وهو قائم يصلى فسألوهما فقالوا نحن سقاة قريش فضربوهما ليخبروهما عن أبى سفيان حتى قالا نحن لأبى سفيان فتركوهما وفرغ النبى من صلاته وقال اذا صدقاكم ضربتموهما واذا كذبا كم تركتموهما، صدقا انهما لقريش ، أخبرانى أين قريش ؟ قالا : هم وراء الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى ، فقال كم القوم ؟ قالا كثير ، قال كم عدتهم ؟ قالا لا ندرى . قال كم ينحرون ؟ قالا يوما تسعا ويوما عشرا ، فقال : إن القوم بين التسعمائة الى الألف، ثم قال لهما : فمن فيهم من أشراف قريش؟ قالا : عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وذكروا نفرا غيرهما ، فأقبل رسول الله على أصحابه وقال : هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها ، فقال أبو بكر فأحسن ثم قال عمر فأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يارسول الله إمض لما أمرك الله فنحن معك ... فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد (وهى على ساحل اليمن جنوبا) لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه ، فدعا له بخير ، ثم قال رسول الله أشيروا على أيها

الناس وانما يريد الأنصار ، وذلك أنهم عدد الناس ، وخاف ألا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة ، وليس عليهم أن يسير بهم ، فقال سعد بن معاذ : لكأنك تريدنا يارسول الله ، قال أجل ، قال قد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك عهودنا ، فامض يارسول الله الى ما أمرت به ، فوالذي بعثك بالحق ، ان استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضنه معك ، وما نكره أن تكون تلقى العدو بنا غدا ، انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ماتقر به عينيك ، فسر الرسول بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال : أبشروا فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين ، والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم ، ثم انحط على بدر فنزل قريبا منها

وكان أبو سفيان قد ساحل وترك بدرا يسارا ثم أسرع فنجا — وسبب ذلك أنه تقدم العير حذرا حتى ورد الماء فقال لمجدى بن عمرو هل أحسست أحدا ، قال مارأيت أحدا أنكره الا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا الى هذا التل ثم استقيا وانطلقا ، فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعار بعيريهما ، ففتته فاذا فيه النوى ، فقال والله هذه علائف يثرب ، ورجع الى أصحابه سريعا فضرب وجه عيره عن الطريق وترك بدرا يسارا وانطلق واقبلت قريش فنزلت بالجحفة

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل الى قريش : انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجاها الله فارجعوا — فقال أبو جهل والله لانرجع حتى نرد بدرا (وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام) فنقيم عليه ثلاثا ، فننحر الجزور ،

ونطعم الطعام ؛ ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان وتسمع العرب بنا وبمسيرنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها ، فامضوا

فقال الاخنس الثقفي وكان حليفا لبني زهرة : يابني زهرة ، قد نجى الله لكم أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ، وانما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بي جبنها وارجعوا - فرجعوا فلم يشهدها زهري ولا عدوي ، وشهدها سائر بطون قريش

وكان بين طالب بن أبي طالب وهو في القوم ، وبين بعض قريش محاورة فقالوا له : والله قد عرفنا ان هواكم مع محمد ، وكان فيمن أخرج كرها فرجع الى مكة فيمن رجع

وبعد ، فهل رأيت اختلاف كلمتهم وتخاذلهم مرة ثانية ؟

ومضت قريش حتى نزلت العدوة القصوي من الوادى والقُلُب ببدر في العدوة الدنيا ، وأرسل الله السماء وكان الوادي دهسا (سهلا ليس برمل ولا تراب) فأصاب رسول الله وأصحابه ماء لبدلهم الارض ولم يمنعهم عن السير ، وأصاب قريشا منها مالم يقدروا على أن يرحلوا معه

وخرج رسول الله يبادرهم الى الماء حتى اذا جاء أدنى ماء من بدر نزله ، فقال له الحباب بن المنذر : يارسول الله أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخره ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ، قال : يارسول الله فان هذا ليس لك بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نغور ما وراءه من القُلب ، ثم نبني عليه حوضا ونملأه ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . ففعل رسول الله ذلك ، فلما نزل جاءه

سعد بن معاذ ، فقال يارسول الله : نبنى لك عريشا من جريد فتكون فيه ونترك عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فبنوا له عريشا

وأقبلت قريش من الكثيب الى الوادي بخيلائها وفخرها ، فقال النبي : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذى وعدتنى اللهم احنهم الغداه (أي لقّهم الحين)

فلما نزلت قريش أقبل جماعة منهم يستقون من حوض الرسول فنهى رسول الله أصحابه أن يتعرضوا اليهم ثم بعثت قريش عمرو بن وهب ليحزر المسلمين (يعرف عددهم) فعاد وقال هم ثلثمائة يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا ولقد رأيت البلايا (النوق) تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع . . . الى أن قال فَرَوا رأيكم ـ فمشى حكيم ابن حزام الى عتبة بن ربيعة ورغب اليه أن يرجع بالناس ويحمل دم حليفه عمرو بن الحضرمى فرضى عتبه ، ولكنه قال له : فأت ابن الحنظلية يعنى أبا جهل فلا أخشى أن يُفسد أمرَ الناس غيره، وقام عتبة في الناس فقال : إنكم ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا ـ فهل خذلهم ؟

أما حكيم فذهب الى أبي جهل وبلغه ما دار بينه وبين عتبة ، فقال انتفخ والله سحره حين رأى محمدا وأصحابه ، والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ولكنه رأى ابنه أبا حذيفة فيهم وقد خافكم عليه ـ ثم بعث الى عامر بن الحضرمي فقال له : هذا حليفك يريد أن يرجع الى مكة بالناس وقد رأيت ثأر أبيك ، فانشد خفرتك ومقتل أخيك ، فقام عامر وصرخ واعمراه واعمراه فحميت الحرب واستوثق الناس على الشر

وخرج الاسود بن عبد الاسد المخزومي وكان سيىء الخلق فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم ولأهدمنه أو لاموتن دونه ، فخرج اليه حمزة فأطن قدمه (أطارها)

وتحمس عتبة من قول أبى جهل ، وخرج مع أخيه شيبة والوليد ابن عتبة ، ودعوا الى المبارزة ، فخرج اليهم ثلاثة من الانصار فلما عرفوا أنهم من الأنصار قالوا اكفاء كرام وما لنا بكم من حاجة ، ليخرج الينا أكفاؤنا من قومنا فقال النبي قم ياحمزة ،قم ياعبيدة،قم ياعلى ، فقاموا ودنا بعضهم من بعض فبارز عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب عتبةَ ، وبارز حمزةُ شيبة ، وبارز على الوليدَ ، فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وكذلك صنع على بالوليد ، وأما عبيدة وعتبة فاختلفا ضربتين كلاهما قد أثبت صاحبه ، وكر حمزة وعلى فقتلا عتبة ، واحتملا عبيدة الى أصحابه وقد قطعت رجله ، فمات شهيدا

ثم تزاحف القوم ودنا بعضهم من بعض - وأمر الرسول أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم، وقال إن اكتنفكم القوم فانضحوهم (ارموهم) عنكم بالنبل، ونزل في العريش ومعه أبو بكر وهو يسأل الله النصرة ويقول اللهم أنجزلى ما وعدتني، ثم أغفى إغفاءة وانتبه فقال : ياأبا بكر أتاك نصر الله ، هـذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده ، على ثناياه النقع، وخرج الرسول وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وحرض المسلمين فجدوا واقتتل الناس قتالا شديدا فكانت الهزيمة على قريش وقتل الله من المشركين من قتل وأسر من أسر - ومر بأبى جهل معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته وبه رمق ، ثم مر به عبد الله بن مسعود (وقد أمر

رسول الله أن يلتمس فى القتلى) فوجده بآخر رمق فوضع رجله على عنقه وقال له : هل أخزاك الله ياعدو الله ؟ فقال وبم أخزانى ؟ أأعمد من من رجل قتلتموه ؟ (يريد هل هنالك أعلى من رجل قتله قومه) أخبرنى لمن الدائرة ، فقال لله ولرسوله ، فقال أبو جهل : لقد ارتقيت ياروعى الغنم مرتقى صعبا ، فقال له انى قاتلك ، قال ما أنت بأول عبد قتل سيده ، أما إن أشد شىء لقيته اليوم ، قتلك إياى ، ألا قتلنى رجل من المطيبين الأحلاف ، فضربه ابن مسعود فوقع رأسه بين رجليه فحمله الى النبى فسجد شكرا لله تعالى

ورأي بلال أمية بن خلف وكان يعذبه بمكة فقال : أمية رأس الكفر ، لانجوت إن نجا ، ثم صرخ ياأنصار الله ، رأس الكفر رأس الكفر أمية فقتله المسلمون وابنه عليا وكان عبد الرحمن بن عوف قد أسرهما

ولما انهزم المشركون أمر النبي ألا يقتل أبو البخترى بن هشام لأنه كان أخف القوم عليه وهو بمكة وكان ممن اهتم فى نقض الصحيفة ، فلقيه أحد حلفاء الانصار ومعه زميل له فقال له : نهى رسول الله عن قتلك ، قال وزميلى ؟ فقال لا قال اذاً والله لأموتن أنا وهو ولاتتحدث نساء قريش أنى تركت زميلى حرصا على الحياة فقتلهما وأخبر النبي خبرهما .

وجىء بالعباس وكان جسيما أسره أبو اليسر وكان مجموعا (صغير الجثمان) فقال الرسول قد أعانك عليه ملك كريم — ولما أمسى العباس مأسورا بات رسول الله ساهرا أول ليلة من أجله . فلما علم القوم أطلقوه — وكان النبى قد نهاهم عن رجال من بنى هاشم وقال أخرجوا كرها — وهم

أبو حذيفة بقتل العباس وقال : أنقتل أبناءنا وآباءنا واخواننا ونترك العباس ؟ والله لئن لقيته لألجمنه بالسيف ، وبلغ الخبر النبي فقال لعمر أما تسمع قول أبى حذيفة ، أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف ؟ فرجع عما عزم عليه

ثم أمر رسول الله بالقتلى فطرحوا فى القَليب، ثم وقف عليهم وقال يأهل القليب ، بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتمونى وصدقني الناس ثم نادى عتبة وشيبة وأمية وأبا جهل وقال لهم مثل ذلك فرأى في وجه حذيفة بن عتبة الكراهية فقال له لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء قال لا والله يارسول الله ماشككت فى أبى وفى مصرعه ، ولكنه كان له عقل وحلم وفضل فكنت أرجو له الاسلام فلما رأيت مامات عليه من الكفر أحزنني ذلك .

ثم امر النبي فجمع مافى العسكر ، فاختلف عليها المسلمون فنزعها الله من أيديهم وجعلها لرسوله فقسمها بينهم على السواء ـ ثم بعث عبد الله بن رواحة إلى أهل العالية ، وزيد بن حارثة بشيرا الى أهل السافلة من المدينة ، فوصل زيد وقد سووا التراب على رقية بنت الرسول وزوج عثمان .

وبعد فما بال هذه الفئة القليلة ، تغلب جحافل المشركين، والجواب سهل يصح التماسه مما مضى وهو (بعد أن تقدم من الاسباب ماكان من معونة الله لنبيه بالملائكة ، وتثبيته قلوب المسلمين ، والقائه الرعب فى قلوب المشركين لانهم شاقوا الله ورسوله) (١) ان المسلمين مع قلتهم قد اتفقت كلمتهم ، والمشركون على كثرتهم كانوا كثيرا مايختلفون (٢) ان

وسول الله حينما علم أن قريشا جاءت رأى ان الأمر ليس أمر أبي سفيان والعير ، بل مسألة هجوم قريش ، فاحتاط واختبر اصحابه من المهاجرين والانصار حتى استوثق انهم لن يفروا من الميدان (٣) ماكان من التدبير والشوري في تخير المنازل ورسم الخطط (٤) ماكان من جودة الموضع الذي عسكروا عنده وزحفوا الى اعدائهم منه وملكوا عليهم الماء فيه. هذا ماكان من جانب النبي وصحبه — واما ماكان من جانب قريش فالتخاذل المستمر — فمن تخوفهم عند خروجهم من بني بكر، الى ماكان من تخذيل ابي سفيان ايام وقد نجت العير ، الى ماحصل من انصراف بني زهرة وغيرهم الى مكة ، الى ما كان من رغبة عتبة في الانصراف وتخذيله القوم لولا ما كان من أبي جهل — واخيرا ماكان من رداءة الموقع الذي كانوا فيه وعدم وجود الماء به

وكان من نتائج انتصار المسلمين

(١) طمع المسلمين مهما كانوا قليلين ، في المشركين مهما كثروا اعتمادا على الله الذي يأبى الا أن يتم نوره ولو كره المشركون

(٢) ان المشركين رجعوا وقد ملئوا غيظا وحقدا، فأخذوا يعدون العدة ، ويستفزون حلفاءهم من كل جانب وظلوا على ذلك سنة كاملة الى أن تمكنوا فوافوا المسلمين بأحد كما سيجيء

هذا ومما يذكر من رعب قريش وهم في ساحة القتال ماتحدث به فلهم حين قدم مكة الى أبي لهب اذ قال لابي سفيان المغيرة بن الحرث ابن عبد المطلب : هلم الى فعندك لعمري الخبر ! اخبرني كيف كان أمر

الناس قال: والله ما هو الا ان لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا، وأيم الله مع ذلك مالمت الناس، إنما رجال بيض على خيل بلق، بين السماء والارض والله ما تليق (تبقى) شيئا ولا يقوم لها شيء فقال أبو رافع مولى رسول الله وكان مولى للعباس وأسلم سرا: تلك والله الملائكة، فرفع أبولهب يده فضربه على وجهه وبرك عليه يضربه فقامت لبابة الكبرى زوج العباس الى عمود من عمد الحجرة فاخذته فضربته به ضربة فلعت فى رأسه شجة منكرة وقالت: أستضعفة ان غاب عنه سيده؟ فقام موليا ذليلا وما عاش بعدها الا سبع ليالى ومات بمرض خبيث معد فبقى ثلاثا لايدفن حتى خاف بنوه السبة فدفعوه بعود فى حفرته وقذفوا بالحجارة من بعيد حتى واروه

والغرض من سرد هـذه القصة حكاية أبى سفيان بن الحرث، هذا وقد شهد بدرا من المسلمين ٣١٤ـ٨٣ من المهاجرين، ٦١ من الأوس ١٧٠ من الخزرج، استشهد منهم ١٤ ـ ٦ من المهاجرين، ٨ من الأنصار وقتل من المشركين ٧٠ وأسر ٧٠

معاملة أسرى بدر

قسم النبى أسرى بدر على الناس وهو فى الطريق الى المدينة عن بواء ثم قدم المدينة قبل الاسرى بيوم ـ ولما فرقهم قال للصحابة استوصوا بهم خيرا، وطلب عمر بن الخطاب ان ينزع ثنيتى سهيل بن عمرو، ويدلع لسانه، حتى لايقوم على النبى خطيبا فى موضع ابدا، فقال عليه السلام لاأمثل به فيمثل الله بى وان كنت نبيا، ويروى أنه قال لعمر: عسى أن

يقوم مقاما لاتذمه ، فكان الوسيط الموفق بين الرسول وقريش يوم الحديبية على ما ستعلم

أما قريش فقالت فى شأن أسراها : لاتعجلوا بفداء أسرائكم لا يأرب عليكم محمد وأصحابه (يشتد) غير ان منهم من خالف سراعا نسل ليلا كالمطلب ابن أبى وادعة السهمى الذى افتدى أباه بأربعة آلاف درهم وانطلق به فتابعته قريش فى افتداء الاسرى

وطلبت زينب بنت رسول الله أن تفتدى أبى العاص زوجها بقلادتها ، فلما رآها رسول الله رق لها ، وقال ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها ما لها ففعلوا ، وأخذ عليه رسول الله عهدا أن يخلى سبيل زينب اليه لأن أبا العاص ثبت على شركه وآمنت زينب بأبيها ، وكان الرسول بمكة ، لا يحل ولا يحرم ، مغلوبا على أمره ، وكان الاسلام قد فرق بين زينب وأبى العاص وكان الرسول لا يستطيع أن يفرق بينهما ، فأقامت معه على اسلامها ، وأقام على شركه الى أن أسر فى بدر فكان منها فى شأنه ما رأيت ، فلما قدم أبو العاص مكة حرا طليقا أمر زينب باللحوق بأبيها فشرعت تتجهز فلما خرجت اعترضتها قريش وردتها ثم خرجت فلحقت بأبيها

أما أبو العاص فانه بعد قليل خرج من مكة الى الشام بأموال قريش وكان مأمونا فلما أقبل بها لقيته سرية لرسول الله فأصابت مامعه وأعجزها هاربا ، فلما أقبل الليل دخل المدينة على زينب واستجار بها ، فأجارته الى الصبح فلما خرج رسول الله الى الصلاة صاحت إنى قد أجرت أبا العاص فسمعها رسول الله ، ولما عاد قال لها : أى بنية ، أكرمى مثواه

ولا يخلص اليك فانك لا تحلين له ، وبعث الى السرية يخيرها بين رد ماله أو يكون لها فيئا . فردوه الى أبى العاص برمته ، وأطلق فرجع بالمال الى مكة ، وأداه الى أصحابه ، فلما فرغ قال : يامعشر قريش ، هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا لا فجزاك الله خيرا ، قال فانى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . والله ما منعنى عن الاسلام عنده الا تخوف أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم فلما أداها الله اليكم وفرغت منها أسلمت ، ثم خرج حتى قدم على رسول الله فرد عليه زينب على النكاح الأول .

ومن أسرى قريش من مُن عليه بغير فداء كأبى العاص هـذا وأبى عزة الجمحى وكان محتاجا ذا بنات ، فمنّ عليه رسول الله على ألا يظاهر عليه أحدا

وقد اتفق صفوان بن أمية وعمير بن وَهب الجمحى بعد مصاب أهل بدر على أن يقوم ثانيهما بقتل رسول الله وكان من شياطين قريش ، وممن يؤذون النبى وأصحابه ، وكان ابنه فى أسرى بدر ، فشحذ سيفه وانطلق فلقيه عمر بن الخطاب ، فقال لأصحابه : هذا الكلب عدو الله ما جاء الا بشر ، ودخل على النبي فأخبره به ، وأنه جاء متوشحا سيفه ، قال : فأدخله على ، فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه فلببه بها ، ودخل على النبى بهذه الصورة ، فقال أرسله ياعمر ، أدن ياعمير ، فسأله ما جاء بك : ؟ قال جئت لهذا الأسير فى أيديكم ، فاحسنوا فيه ، قال فما بال السيف فى عنقك ؟ قال قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئا ؟ ثم قال له النبى أصدقنى ما الذى جئت له ؟ قال : ما جئت الا لذلك ،

فقال بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القَليب من قريش ، فلما أخبره بما دار بينهما من شر ، هداه الله الى الاسلام وشهد شهادة الحق ، فقال : النبي فقهوا أخاكم وأقرئوه القرآن وأطلقوا اليه أسيره ففعلوا وسأل عمير رسول الله أن يعود الى مكة داعيا لعل الله يهديهم والا آذاهم كما كان يؤذى رسول الله وأصحابه ، فأذن له، فقدم مكة وأسلم على يديه ناس كثير ـ أما صفوان بن أمية فحلف لايكلمه أبدا ولا ينفعه بنفع أبدا وظل على شركه حتى شفع فيه عمير ابن وهب عند رسول الله بعد أن أراق دمه يوم فتح مكة

والغرض من ذكر هذه القصص أن تعلم أن أسرى بدر عوملوا معاملة حسنة من كل وجه ، فمنهم من افتدى نفسه أو افتداه أهله بالمال فلم يمتنع الصحابة من قبول الفدية ، ومنهم من منوا عليه بغير فداء ومنهم من بقى فكان الرجل من المسلمين يؤثره بطعامه

وقد فدى العباس نفسه وابنى اخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل ابن الحرث بن عبد المطلب ، وحليفة عتبة بن عمر ، أمره رسول الله بذلك فقال لامال لى، فقال له النبي أين المال الذى وضعته عند أم الفضل، وقلت لها ان أصبتُ فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولعبيد الله كذا ؟ قال والذى بعثك بالحق ما علم به أحد غيرى وغيرها وانى لأعلم أنك رسول الله

وكان في الأسرى عمرو بن أبى سفيان أسره على ، فقيل لابيه أفد عَمرا ، فقال لا اجمع علىّ دمى ومالى ، يُقتل ابنى حنظلة ، وافدى عمرا وتركه ولم يفكه حتى تعرض أبو سفيان لسعد بن النعمان الانصاري وقد

خرج الى مكة معتمرا (وكانت قريش لا تعرض لحاج ولا معتمر) فاخذه فحبسه فمشى بنو عمرو بن عوف الى النبى وطلبوا منه عمرا ففادوا به سعدا

خبر بنى قينقاع

كان من حديث بنى قينقاع أن النبي حين قدم المدينة من بدر جمع اليهود بسوق بنى قينقاع ثم قال يامعشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ماأصاب به قريشا من النقمة ، فأنكم قد عرفتم أنى نبي مرسل ، تجدون ذلك فى كتبكم وعهد الله اليكم ، فقالوا يا محمد لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال ، انك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس ، وأنك لم تلق مثلنا

وكان بنو قينقاع أول يهود نقضوا ما بينهم وبين النبى وحاربوا فيما بين بدر وأحد ـ ثم كان من أمرهم أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوقهم ، وجلست الى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت ، فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديا ، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع ، فحاصرهم رسول الله خمس عشر ليلة حتى نزلوا على حكمه ، فقام اليه عبد الله بن أبى حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد أحسن فى موالى ، وكانوا حلفاء

الخزرج ، فأبطأ عليه رسول الله ، فادخل يده في جيب درع الرسول فقال له أرسلني وغضب حتى رأوا لوجهه ظللا ، فقال لا والله لاأرسلك حتى تحسن في موالي ، اربعمائة حاسر وثلثمائة دارع قد منعوا من الاحمر والاسود تحصدهم في غداة واحدة ، إني والله امرؤ أخشى الدوائر . . فقال رسول الله هم لك

وكان شأن عبد الله بن أبي في هذا الموضوع يخالف ما كان من عبادة بن الصامت ، وكان للقوم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله ولكنه خلعهم الى رسول الله وتبرأ الى الله ورسوله من حلفهم

ويذكرون من الأسباب التي حملت الرسول على حربهم أيضا أو على البدء بهم انهم كانوا من موالي الخزرج وكانت أغلب بطون الخزرج أسلمت ما عدا بطن عبد الله بن أبي ، فقد كان يظهر الايمان ويبطن الكفر . وهؤلاء حلفاؤه وهم أهل الاموال الوفيرة ، ويقيمون في حي واحد من الاحياء العربية ، فأراد الرسول ان يطهر هذا الحي من جميع من يخالفون دينه ، وتربص الفرصة المناسبة حتى حانت ، وقتلهم وانتصر عليهم وأجلاهم عن المدينة وأمر بجمع أموالهم وأسلحتهم ، ثم قسمها على الأنصار بعد ان حجز منهم الخمس ، وابقي لهم زراريهم ونساءهم وأمهلهم ثلاثة أيام ، فرحلوا الى وادي القرى ومنها الى أذرعات بالشام — وكان اجلاؤهم سببا في ازلال اليهود فامتنعوا عن المجادلات الدينية ، وهابت القبائل العربيه التي لم تدخل في الاسلام مع رسول الله فاتسع امامه المجال لنشر دعوته

مقتل كعب بن الاشرف

كان من حديث هذا الرجل أنه لما أصيب أصحاب بدر وجاء بشير رسول الله الى أهل العالية والسافلة بفتح الله وقتل من قتل من المشركين قال كعب وهو من طيء وأمه من بنى النضير : أحق هذا ؟ أترون محمدا قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان ؟ فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء، لبطن الأرض خير من ظهرها، فلما تيقن عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة على المطلب السهمى وعنده عاتكة بنت أبى العيص بن أمية ، فأنزلته وأكرمته ، وجعل يحرض على رسول الله وينشد الأشعار ويبكى أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا ببدر ، ثم رجع الى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم، ومنهن أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب قال فيها

أراحل أنت لم ترحل لمنعبة ... وتارك أنت أم الفضل بالحرم

فقال رسول الله من لى بابن الأشرف ؟ فقال محمد بن مسلمة أخو بنى عبد الاشهل : أنا لك به يارسول الله ، أنا أقتله قال فافعل ان قدرت على ذلك ، فأقام ثلاثا ثم رجع الى النبى فقال إنه لابد لنا أن نقول، قال قولوا مابدا لكم فأنتم فى حل من ذلك، فاجتمع فى قتله مع بن مسلمة أبو نائلة وكان أخا كعب من الرضاع وثلاثة آخرون ، ثم قدموا قبل أن يأتوه أبا نائلة فتحدث معه ساعة وتناشدوا شعرا ، ثم قال له ويحك يابن الأشرف انى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك ،فاكتم عنى! قال أفعل، قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ، عادتنا به العرب ورمتنا

عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل . . . فقال كعب : أنا ابن الاشرف أمَ والله لقد كنت أخبرك يابن سلامة ان الامر سيصير الى ما أقول ، فقال له انى قد أردت أن تبيعنا طعامك ونرهنك ونوثق لك ونحسن فى ذلك ، فقال أترهنونى أبناءكم ؟ قال لقد أردت أن تفضحنا ، إن معى أصحابا لى على مثل رأيى ، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم ونوثق لك ونحسن في ذلك ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء ، (أراد أبو نائلة الا ينكر السلاح إذا جاءوا بها) قال : ان في الحلقة لوفاء ، فرجع أبو نائلة الى أصحابه وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا اليه فاجتمعوا عند النبى ، ثم مضوا فمشى معهم رسول الله الى البقيع ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم ورجع ، أما الجماعة فانهم انتهوا الى حصن كعب فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس ، فوثب وعليه ملحفته فأخذت امرأته بناحيتها وقالت انك امرؤ محارب ، وان أصحاب الحرب لاينزلون فى هذه الساعة ، قال ان أبو نائله لو وجدنى نائما ما أيقظنى ، فقالت : والله إنى لأعرف الشر فى صوته . . . فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قال له أبو نائلة هل لك يابن الاشرف أن نتماشى الى شعب كذا فنتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم ، فخرجوا يتماشون فشام أبو نائلة يده فى فود رأسه ثم شم يده فقال مارأيت كالليلة طيبا أعطر قط ، ثم مشى ساعة وعاد لمثلها حتى اطمأن ثم عاد لمثلها فأخذ بفود رأسه ثم قال : اضربوا عدو الله فضربوه ، فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئا . فطعنه محمد بن مسلمة بمغول فى لبته فصاح صيحة لم توقدت من أجلها حصون اليهود فوقع عدو الله ، وأصاب أحد الجماعة

سيفه فلم يجار اخوانه في الفرار ، فوقفوا له ساعة ثم احتملوه فجاءوا به رسول الله آخر الليل وهو قائم يصلى فخرج اليهم بعد أن سلم ، فأخبروه بقتل عدو الله ، ورجعو الى أهلهم ، ثم أصبحوا وقد خاف اليهود ، فما كان بالمدينة يهودى الا وهو يخاف على نفسه - وكان قتل كعب بمثابة اعلان الحرب على بنى النضير لأنه من زعمائهم وقال رسول الله : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب محيصة بن مسعود الخزرجى على ابن سبينة وهو من تجار اليهود كان يلابسهم ويبايعهم فقتله ، فكان قتل محيصه إياه سببا فى اسلام أخيه حويصة بن مسعود

غزوة السويق

كان أبو سفيان حين رجع الى مكة ورجع فلّ قريش من بدر، نذر ألا يمس رأسه ماءٌ من جنابه حتى يغزو محمدا صلى الله عليه وسلم ، فخرج فى مائتى راكب من قريش ليبر يمينه فسلك النجدية (الطريق الشرقى) حتى نزل ناحية على بريد من المدينة ، ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير ، فأتى حُيَى بن أخطب فلم يفتح له بابه وخافه ، فانصرف الى سلاَم بن مِشْكم وكان سيد بنى النضير فى زمانه فقراه وسقاه وبطن له من خبر الناس ، ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث منهم رجالا الى العريض من المدينة فحرقوا من نخيلها ووجدوا بها رجلا من الانصار وحليفا له في حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين

ونذر بهم الناس ، فخرج النبى فى طلبهم فلم يدركهم وانصرف راجعا وقد رأوا أزوادا من أزواد القوم قد طرحوها فى الحرث يتخففون

منها للنجاة ، وكان أكثرها من السويق ، فمن أجل ذلك سميت الغزوة بهذا الاسم

غزوة أحد

كان من حديث أحد أنه لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ورجع فلهم الى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره ، مشى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم واخوانهم يوم بدر ، فكلموا أبا سفيان ، ومن كانت له في تلك العير تجارة ، فقالوا يامعشر قريش إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه ، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا ، ففعلوا

واجتمعت قريش لحرب رسول الله باحابيشها ، ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة ، وخرج معهم أبو عزة وهو ممن منّ رسول الله عليهم من أسرى بدر لفقره وكثرة عياله ، فخرج فى تهامه يدعو بنى كنانة ، ودعا جبير بن مطعم غلاما حبشيا يقال له وحشى يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطىء بها ، فقال : أخرج مع الناس فان قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى فأنت عتيق

وخرجت قريش بحدها وجدها ومن تابعها ، وخرجوا معهم بالظعن ، التماس الحفيظة وألا يفروا — فخرج أبو سفيان بامرأته هند بنت عتبة ، وخرج عكرمة بن أبى جهل ، والحرث بن هشام ، وصفوان بن أمية ، وعمرو بن العاص ، وطلحة بن أبى طلحة ، وغيرهم كل بامرأته — وخرجت خناس بنت مالك مع ابنها عزيز بن عمير

وكانت هند كلما مرت بوحشي قالت ويها أبا دسمة أشف واشتف ـ فاقبلوا حتي نزلوا على شفير الوادي مقابل المدينة

فلما سمع رسول الله والمسلمون أنهم نزلوا حيث نزلوا قال للناس: إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فان أقاموا أقاموا بشر مقام ، وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها ، وكان هذا رأى عبد الله بن أبى أيضا ، وكان الرسول يكره الخروج اليهم ، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد ، وغيرهم ممن كان فاتهم بدر : يارسول الله اخرج بنا الى أعدائنا ، لايرون انا جَبُنا عنهم وضعفنا ، فقال ابن أُبى : يارسول الله أقم بالمدينة لا تخرج اليهم ، فوالله ماخرجنا منها الى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولادخلها علينا الا أصبنا منه فدعهم يارسول الله فان أقاموا أقاموا بشر محبس ، وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا ـ فلم يزل الناس برسول الله حتى دخل فلبس لامته ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا استكرهنا رسول الله ولم يكن لنا ذلك ـ فقالوا يارسول الله استكرهناك ولم يكن لنا ذلك ، فان شئت فاقعد ، فقال ما ينبغى لنبي اذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل ـ وخرج فى ألف من أصحابه ، حتى اذا كانوا بين المدينة وأُحد انخزل عنه عبد الله بن أُبى بثلث الناس ، وقال أطاعهم وعصانى ، ما ندرى علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس ! ـ فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم أحد بنى سلمة يقول : ياقوم اذكركم الله أن لاتخذلوا قومكم ونبيكم عند ماحضر من عدوهم ، فقالوا لو نعلم قتالا

تبوك
تيماء
الحجر ومدائن صالح
خيبر
حرة خيبر
وادي القرى
ذو حسى
ذو القصة
جبل أحد
المدينة المنورة
قبا
ينبع البحر
بدر
الأبواء
رابغ
الجحفة
خليص
عسفان
قرن المنازل
مكة المكرمة
التنعيم
الحديبية
الطائف
جبل حراء
جبل ثور
ما بين الحرمين الشريفين
لبنائي من غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورسم الشيخ محمد فخر الدين مدرس الجغرافية والتاريخ بدار العلوم

لانبعثناكم ـ فدعا عليهم وقال فسيغنى الله نبيه عنكم

وقال الانصار لرسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود فقال : لا حاجة لنا فيهم ومضى رسول الله حتى سلك فى حرة بنى حارثة وقال: ألا من رجل يخرج بنا على القوم من كثب من طريق لا يمر بنا عليهم فدله أحد بنى الحرث فمضى حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي الى الجبل ، فجعل عسكره وظهره الى أحد ، وقال لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال ، وتعبى رسول للقتال وهو في سبعمائة رجل ، وأمّر على الرماة عبد الله بن جبير وهو مُعْلم يومئذ بثياب بيض والرماة خمسون رجلا ، فقال : انضح الخيل عنا بالنبل لايأتونا من خلفنا ، ان كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لانؤتين من قبلك ، ودفع اللواء الى مصعب بن عمير ، ورد أسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت أحد بنى مالك ، والبراء بن عازب ، وغيرهم وهم أبناء خمس عشرة سنة ثم ردهم يوم الخندق. وتعبّت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مائتا فرس قد جنبوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل ، وأعطى رسول الله أبا دجانة سيفا وكان شجاعا يختال عند الحرب اذا كانت وكان اذا أعلم بعصابة له حمراء ، فاعتصب بها علم الناس انه سيقاتل فلما أخذ السيف أخرج عصابته فعصب بها رأسه وجعل يتبختر بها بين الصفين ، فقال رسول الله انها لمشية يبغضها الله إلا فى مثل هذا الموطن

وأراد ابو سفيان ان يحرض اصحاب اللواء من بنى عبد الدار فقال : يابني عبد الدار ، انكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فاصابنا ماقد رأيتم ،

وانما يؤتى الناس من قبل رياتهم ، اذا زالت زالوا فاما أن تكفونا لوائنا وأما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه، فهموا به ونهوا عدوه ، وقالوا ستعلم غداً اذا التقينا كيف نصنع ،وهذا ما كان يريد أبو سفيان .

فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللائى معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم

فاقتتل الناس حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة حتى أثخن في الناس وهو يقول

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل ،
الا أقوم الدهر في الكيول ضرب بسيف الله والرسول ،

فجعل لايلقي أحداً الا قتله ، وحمل السيف على مفرق هند بنت عتبة ثم عدل عنها ، وصمد لانسان من قريش فولول فاذا امرأة فقال أكرمت سيف رسول الله ان أضرب به امرأة

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أحد النفر الذين يحملون اللواء ، وتحداه سباع بن عبد العزى فلما التقيا ضربه حمزة فقتله

حديث وحشي وقتل حمزة

حديث وحشي قال . والله انى لأنظر الى حمزة يهز الناس بسيفه ما يلبق به شيئا مثل الجمل الأورق ، اذ تقدمني سباع فضربه ضربة فكأنما أخطأ رأسه ، وهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه ، فاقبل نحوي فغلب فوقع ، وأمهلته حتى اذا مات جئت فأخذت حربتي ، ثم تنحيت الى

المعسكر ، ولم يكن لى بشىء حاجة غيره ، وإنما قتلته لأعتق ، فلما قدمت مكة عتقت ، ثم أقمت حتى اذا افتتح رسول الله مكة هربت الى الطائف ، فلما خرج وفد الطائف الى رسول الله ليسلموا ، تعيَّت علىَّ المذاهب حتى قال لى رجل ويحك ! انه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل فى دينه وتشهد شهادة الحق ، فلم يرع رسول الله الا بى قائما على رأسه أتشهد بشهادة الحق ، فلما رآنى قال : أوحشى ؟ قلت نعم ، قال : أقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة ، فحدثته فلما فرغت قال : ويحك ! غيب عنى وجهك فلا رأيتك ، فكنت أتنكب رسول الله حيث كان لئلا يرانى حتى قبضه الله ـ فلما خرج المسلمون الى مسيلمة أخذت حربتى التى قتلت بها حمزة ، فتهيأت له وتهيأ له رجل من الانصار ، ودفعتها عليه فوقعت فيه ، وشد عليه الانصارى بالسيف فربك أعلم أينا قتله ، فان كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله وقد قتلت شر الناس

عود ، وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله حتى قتل ، قتله ابن قمئة الليثى ، وهو يظن أنه رسول الله ، ورجع الى قريش وهو يقول قتلت محمدا ، وحمل اللواء بعد مصعب على بن أبى طالب ورجال من المسلمين

وجلس رسول الله تحت راية الأنصار حين اشتد القتال وأرسل الى على بن أبى طالب أن قدم الراية فتقدم وقال أنا أبو القصم (الدواهى) فبرز له صاحب لواء المشركين وقال : هل لك فى البراز من حاجة ؟ فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه على فصرعه ولم يجهز عليه لأنه استقبله بعورته

والتقي حنظلة بن أبي عامر وأبو سفيان فلما استعلاه حنظلة ضربه رجل من المشركين فقتله فقال رسول الله إن صاحبكم يعني حنظلة لتغسله الملائكة

ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر

غلطه حربية تجر الى الهزيمه

وكانت هزيمة المشركين لاشك فيها حتى قال الزبير لقد رأيتني أنظر الى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير ، إذ مالت الرماة الى العسكر حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيل فأتينا من خلفنا ، وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى مايدنو منه أحد من القوم

وانكشف المسلمون فاصاب فيهم العدو وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خلص العدو الى رسول الله فدث بالحجارة حتى وقع لشقه فاصيبت رباعيته وشج في وجهه وكلمت شفته ، وكان الذى أصابه عتبة بن أبي وقاص ، فأخذ على ابن أبي طالب بيد رسول الله ورفعه طلحة حتى استوي قائما

وترس دون رسول الله أبو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتي كثر النبل فيه — وكان أول من عرف رسول الله بعد الهزيمة وقول الناس قتل رسول الله ؛ كعب بن مالك قال فناديت بأعلى

صوتى يامعشر المسلمين أبشروا ، هذا رسول الله فلما عرف المسلمون رسول الله نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب ومعه وجوه المهاجرين ورهط من المسلمين فلما أسند أدركه أبى بن خلف وهو يقول : أى محمد لانجوت أن نجوت ! ، فقالوا يارسول الله أيعطف عليه رجل منا فقال دعوه ، فلما دنا منه تناول رسول الله حربة الحرث بن الصمة ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا فمات والمشركون قافلون به الى مكة

وبينا رسول الله فى الشعب ومعه هؤلاء ، اذعلت عالية من قريش الجبل، فقال النبى: اللهم لاينبغى لهم أن يعلونا ونهض ليعلو فلم يستطع فجلس تحته طلحة فنهض به حتى استوى على الصخرة وكان الناس قد انهزموا عن رسول الله حتى انتهوا الى المنقى دون الاعوص الى أحد

أمر هند والمثلة بحمزة

ووقفت هند بنت عتبة والنسوة اللاتى معها يمثلن بالقتلى من أصحاب النبى يجدعن الآذان والانف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدما وقلائد ، واعطت خدمها وقلادتها وقرطها وحشيا قاتل حمزة ، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها وقالت

شفيت من حمزة نفسى بأحد ... حتى بقرت بطنه من الكبد

أذهب عنى ذاك ما كنت اجد ... من لذعه الحزن الشديد المتمد

ثم أن أبا سفيان أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته فقال أنعمت فعال أن الحرب سجال ، يوم بيوم بدر . أعل هبل فقال رسول الله: قم ياعمر فأجبه فقل الله أعلي وأجل قتلانا فى الجنة وقتلاكم في النار . فلما سمع أبو سفيان قال : هلم الى ياعمر فاذن اليه النبى فجاءه . فقال أبو سفيان أقتلنا محمدا ؟ قال اللهم لا وأنه ليسمع كلامك الآن . قال : أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر . ثم انصرف ونادى موعدكم بدر للعام القابل فقال النبى لرجل من أصحابه ، قل نعم ، هو بيننا وبينك موعد ـ ثم بعث رسول الله عليا فقال: اخرج فى آثار القوم فانظر ماذا يصنعون فان كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الابل فانهم يريدون مكة ؛ وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فانهم يريدون المدينة . فوالذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن اليهم فيها ثم لأناجزنهم ـ قال على فخرجت فى آثارهم انظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الابل ووجهوا الى مكة وفرغ الناس لقتلاهم ـ ولم يؤسر من المسلمين أحد وانما قتل منهم سبعون . ستة منهم من المهاجرين ـ وأمر رسول بدفن الموتى حيث صرعوا ثم رجع رسول الله الى المدينه يوم السبت يوم الوقعة فلقيته حمنة بنت جحش فنعى لها أخوها عبد الله فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها خالها حمزة فاسترجعت واستغفرت ،ثم نعى زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت فقال النبى : أن زوج المرأة منها بمكان

ولما كان الغد يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن

مؤذن رسول الله فى الناس بطلب العدو ، والا يخرج الا من حضر يومنا بالأمس . أراد بذلك الرسول أن يرهب العدو ويبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة ، وان الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم ، فخرج حتى انتهى الى حمراء الأسد فأقام بها ثلاثة أيام ثم رجع الى المدينة فمر به معبد الخزاعى وكانت خزاعة عيبة نصح للرسول مسلمهم ومشركهم فقال يامحمد أم والله لقد عز علينا ما أصابك فى أصحابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم ، وخرج حتى لقي أبا سفيان بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة الى رسول الله ، وقالوا أصبنا حد أصحابهم وأشرافهم وقادتهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟ لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم ، فلما رأى أبو سفيان معبداً قال ماوراءك يامعبد ؟ قال : محمد فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان قد تخلف عنه فى يومكم وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط ، وتصحه بالعودة فعاد ، وكذلك عاد رسول الله الى المدينة فأخذ معاوية بن المغيرة فقتله ثم أخذ أبا عزة الجمحى الذى أسر ببدر ومَنَّ عليه فقال يارسول الله : أقلنى ، فقال : والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول خدعت محمد مرتين أضرب عنقه يازبير فضرب عنقه

هذا — وقد نزلت في يوم أحد ستون آية من آل عمران ، فيها صفة ما كان فى يومهم ذلك ومعاتبة من عاتب منهم ، أولها واذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم

وبعد فقد رأيت فى ثنايا هذه القصة (١) أن النبي لم يخرج الى قريش وهم بأحد الا بعد أن استشار القوم وأنه عمل برأي الاكثرية

(٢) أنه مضى فى الامر ولم يرجع لئلا يتهم بالفور فى العزيمة (٣) أن المسلمين انتصروا أولا حينما عملوا بأمر رسول الله وحافظوا عليه (٤) أن ما حل بالمسلمين من الهزيمة بعد ذلك انما كان من مخالفة الرماة أمر النبي ، وأنهم خافوا أن يستأثر اخوانهم بشيء من الغنيمة بعد النصر ، فأخلوا مراكزهم وفتحوا لخيل ابن الوليد الطريق ، فاحدث حركة التفاف صار بها وراء ظهور المسلمين فضربهم من خلفهم وعاد المنهزمون من المشركين حينما رأوا ذلك فأخذوهم من الامام وبذلك وحده حصلت هزيمة المسلمين (٥) أنه لم يؤسر من المسلمين أحد وهذا أمر نادر الحدوث في الحروب مع أن المسلمين غلبوا الكفار أولا ثم غلب المشركون بعد ذلك والفريقان فى فِرَقٍ من العدد

وخرج أبو سفيان من قابل ، وخرج النبى الى بدر لميعاده غير أن نعيما الاشجعى كان قد اعتمر وهو على شركه فاستخدمه أبو سفيان فى تثبيط أهل المدينة، فلما فعل ذلك قال النبى والله لو لم يخرج أحد معى لخرجت وتسامع القوم فأنار الله بصائرهم وخرجوا مع الرسول الى بدر فأقاموا ثمانى ليال ينتظرون أبا سفيان فلم يجىء فاتجروا وربحوا ، ولم يلقوا عدواً، وانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم

اجلاء بنى النضير

يتقدم غزو بني النضير واجلاءهم خبر بئر معونة ، وبيانه أن أبا براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة قدم على النبي فعرض عليه

الاسلام ودعاه اليه . فلم يسلم ولم يبعد وقال : يامحمد لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال له : انى أخشى عليهم أهل نجد ، قال : انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك ، فبعث النبى المنذر بن عمر فى اربعين رجلا من خيار المسلمين فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهى بين أرض بنى عامر وحرة سُليم وهي الى الاخيرة أقرب ، فلما نزلوها بعثوا رجلا منهم بكتاب النبى الى عامر بن الطفيل فعدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا ان يجيبوه ؛ وقالوا لن نخفر أبا براء ، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سُليم فاجابوه وأحاطوا باصحاب النبى وهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قتلوا جميعا رحمهم الله الا واحداً تركوه وبه رمق فنجا ؛ وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضَّمرى ورجل من الانصار فلم ينبئهما مما صاب أصحابهما الا الطير تحوم على العسكر فاقبلا لينظروا فاذا القوم فى دمائهم واذا الخيل التى أصابتهم واقفة ، فقال الانصارى لعمرو بن أمية ما ترى ؟ قال أن نلحق برسول الله فنخبره الخبر ، فقال ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر ابن عمرو ثم قاتل القوم حتي قتل وأخذوا عمراً أسيراً ، فلما أخبر انه من مضر أطلقه ابن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم انها كانت على أمه ، فخرج عمرو حتى أوى الى ناحية مستظلا فنزل عليه رجلان فى ظله كان معهما عقد من رسول الله وجوار لم يعلم به عمرو ، واذا هما عامريان فأمهلهما حتى اذا ناما عدا عليهما فقتلهما وهو يرى انه قد أصاب بهما ثأره من بنى عامر — فلما قدم على رسول الله فاخبره الخبر

قال لقد قتلت قتيلين لأدينهما ثم قال هذا عمل أبي براء لقد كنت لهذا كارهامتخوفا ، فشق على أبى براء ما كان ، فحمل أحد بنيه على عامر ابن الطفيل فطعنه بالرمح فى فخذه فأشواه ووقع عن فرسه

وبعد فانه لما كان هذا خرج رسول الله الى بنى النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر وهما اللذان قتلهما عمرو بن أمية للجوار الذي كان النبى عقد لهما ، وكان بين بنى النضير وبين بني عامر عقد وحلف فلما جاءهم رسول الله لذلك قالوا نعم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ، (والنبى الى جنب جدار من بيوتهم قاعد) فمن رجل يعلو هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فقال أحدهم أنا لذلك ، فصعد لياتي عليه حجراً فأتاه خبر السماء بما أراد القوم فقام وترك من كان معه من أصحابه ، وخرج راجعا الى المدينة ، فلما استلبث النبى اصحابهُ قاموا فى طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلا المدينة ، فاقبلوا حتي انتهوا اليه فأخبرهم الخبر وأمر بالنهوض لحرب بني النضير والسير اليهم ، فحاصرهم ست ليال فتحصنوا منه فى الحصون ، فامر النبى بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه يامحمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخيل وتحريقها ؟ وكان رهط عبد الله بن أبى قد بعثوا الى بنى النضير أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ، لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وان قوتلتم لننصرنكم ،فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب وسألوا رسول الله أن يجليهم ويكف عن دمائهم

على أن لهم ما حملت الأبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام ، فكان أشرافهم من سار منهم الى خيبر : سلام بن أبى الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، وحيىّ بن أخطب ، فلما نزلوها دان لهم أهلها ، وخلوا الأموال لرسول الله فكانت له خاصة يضعها حيث شاء فقسمها على المهاجرين الاولين دون الانصار اذ لم يعط منهم الا سهل ابن حنيف وأبا دجانة لانهما ذكرا فقراً — وقد نزل بنى النضير سورة الحشر بأسرها ، ويقال ان غزوة بنى النضير هذه كانت بعد بدر بستة أشهر كما يقال أن السبب فى غزوهم عدم اشتراكهم فى وقعة أحد وكان بينهم وبين النبى معاهدة دفاع معتذرين بان اليوم سبت وهم لا يزاولون فى يوم السبت عملا

وكان النبي يعتبر أن غزوة أحد موجهة الى أهل المدينة عامة فيجب عليهم أن يخرجوا للقاء العدو كما هو نص المعاهدة ولكنهم اعتذروا بالسبت — ويروى أن النبى لما قدم المدينة صالح بنى النضير على ألا يكونوا له ولا عليه ، فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبى المنعوت فى التوراة بالنصرة ، فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا ، وخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكة وحالفوا أبا سفيان فامر النبى محمد بن مسلمة بقتل ابن الاشرف فقتله غيلة فكان قتله بمثابة اعلان الحرب عليهم لانه كان من زعمائهم ولذلك صحبهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء كما سبق ، والغرض ان تعلم أن الاسباب فى غزو بنى النضير متنوعة

غزوة الخنـــدق

حفر الخندق لم يكن من عادة العرب ولـكنه من مكايد الفرس وحروبها ، ولذلك أشار به سلمان الفارسى وكان من حديث الخندق : أن نفراً من اليهود (منهم سلام بن أبى الحقيق النضرى ، وحيى بن أخطب النضرى ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق النضرى ، ونفر من بنى وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله) خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله

والأصل فى ذلك أن أشراف بنى النضير الذين نزلوا في خيبر أخذوا يفكرون فى أمرهم ، ويتلمسون الطرق التي توصلهم الى أخذ الثأر من الانصار ، والى مزارعهم وصياصيهم في جهـات يثرب التي سكنوها من قرون مضت وكان لهم فيها السلطـان والثروة والدولة ثم أصبحوا فى خير فى حالة يرثى لها وتستوجب النظر

فلما عرضوا على قريش ذلك الامر قالوا لهم : انكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق ، فانظر كيف تورط اليهود فى الامر ، وفضلوا الوثنية على الدين الالهى ، والاشراك على التوحيد ، فضلا عن التجائهم الى عبدة الاصنام ، وجاءوا هـذا الامر المنهى عنه فى كتبهم ضرورة حربية وخدعة . مما يدلك على أنهم كانوا يريدون التضحية بكل عزيز عليهم حتى بدينهم فى سبيل العودة الى

المدينة والانتقام من الانصار ، وقد ندد القرآن الكريم بصنيعهم هذا ولعنهم (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت . . . الآيات)

فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب النبي ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ، ثم خرج النفر من اليهود حتى جاءوا غطفان فدعوهم الى حرب النبي وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه

خرجت قريش وقائدها أبو سفيان ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن الفزارى فى فزارة ، والحرث بن عوف فى بنى مرة ومسعر بن رخيلة فيمن تابعه من قومه من أشجع

أما غرض قريش من الحرب فمواصلة القتال ليأخذوا بثار قتلى بدر وأحد ، ولذلك دخلوا بين أستار الكعبة واقسموا ليواصلن القتال حتى لايبقى فيهم رمق من الحياة

وأما غرض غطفان منها فلأن اليهود وعدوهم اذا تم لهم النصر ان يكون لهم ما تخرجه مزارع خيبر وبساتينها سنة كاملة

ولما سمع رسول الله بهم وما اجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة ، وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين فى الاجر ، فعملوا معه وأبطأ رجال من المنافقين فكانوا يورون بالعمل القليل ويتسللون الى أهليهم بغير علم من الرسول ولا اذن ، اما المسلمون فكانوا عند الحاجة يستأذنون

ولما فرغ رسول الله من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجمع

الأسيال من رومة فى عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة ـ وأقبلت غطفـان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نَقَمى الى جانب أحد ـ وخرج النبى والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينـه وبين القوم ، وأمر بالذراري والنسـاء فجعلوا فى الآطام

وخرج حيى بن أخطب النضرى حتى أتى كعب بن أسد القرظى صاحب عقد بنى قريظة وكان قد وادع النبى على قومه وعاقده على ذلك وعاهده ، فاغلق كعب بابه دون حيى ، فناداه ويحك! افتح لى ، فقـال انك امرؤ مشئوم وانى قد عاهدت محمداً ، فلست بناقض مابينى وبينه ولم أر منه الا وفاء وصدقا ، قال: ويحك! افتح لى أكلمك ، فأبى فما زال به حتى فتح له فقال يا كعب جئتك بعز الدهر ، جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتي أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى الى جانب أحد قد عاهدونى وعاقدونى على ألاَّ يبرحوا حتي نستأصل محمداً ومن معه . قال كعب : جئتنى بذل الدهر ويحك! فدعنى ياحيى وما أنا عليه فانى لم أر من محمـد الا صدقا ووفاء ، فلم يزل يفتله فى الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطـاه عهداً وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمـداً أن أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك فنقض كعب عهده ، وبريء مما كان بينه وبين رسول الله .

فلما انتهى الخبر الى رسول الله والى المسلمين بعث سيد الأوس سعد بن معاذ، وسيد الخزرج سعد بن عبادة، فقال: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم؟ فان كان حقا فالحنوا الى لحنا أعرفه ولا تفتوا فى أعضاد الناس، وان كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس، فخرجوا حتي أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، نالوا من النبى وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، فشاتمهم سعد ابن معاذ وشاتموه فنهاه سعد بن عبادة وقال ما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة، وأقبلا ومن معهما الى النبى فسلموا عليه وقالوا عضل والقارة أى كغدر عضل والقارة فى احدى الغزوات، وهذا هو اللحن الذي أراده النبى منهم فكبرّ وقال أبشروا يامعشر المسلمين.

وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم العدو من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المسلمون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال بعضهم: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط، وقال آخر يارسول الله ان بيوتنا عورة فأذن لنا أن نخرج فنرجع الى دارنا فانها خارج من المدينة.

فلما اشتد على الناس البلاء بعث النبى الى قائدي غطفان فأعطاهما ثلث ثمر المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه فرضوا وفضلوا ماوعد به الرسول على ما اتفقوا مع اليهود عليه لأن الأول ليس معه حرب ولا يسفكون من أجله دماء — وجرى بين الرسول وبين غطفان الصلح حتي كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا العزيمة الا المراوضة فى ذلك

فلما أراد النبى أن يفعل بعث الى سعد وسعد فاستشارهما فقالا يا رسول الله ، أمراً تحبه فنصنعه،أم شيئاً أمرك الله به لابد لنا من العمل به ، أم شيئا تصنعه لنا ؟ قال بل شيء أصنعه لكم ، والله ما اصنع ذلك الا لانى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم الى أمر ما . فقال سعد ابن معاذ قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله ،وعبادة الاوثان، لانعبد الله ولانعرفه ،وهم لايطمعون أن يأكلوا منها ثمرة الا قرى أو بيعا، أفحين أكرمنا الله بالاسلام ، وهدانا له، وأعزنا بك به، نعطيهم أموالنا؟ والله مالنا بهذا من حاجة ، ولا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، قال النبى:فأنت وذاك فيقال ان سعداً تناول الصحيفة ومحا ما فيها من الكتاب ــ فأقام رسول الله والمسلمون وعدوهم محاصرهم ولم يكن بينهم قتال الا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود ، وعكرمة بن أبى جهل ، خرجوا على خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله ان هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها ــ ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع .

وخرج على بن أبى طالب فى نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التى اقتحموا منها خيلهم ، وأقبل عمرو هو وخيله وقال: هل من مبارز؟ فبرز له على فدعاه الى الله ورسوله فقال لاحاجة لى بذلك فدعاه الى النزال فقال له : لم يا بن أخى فوالله ما أحب أن أقتلك . قال على ولكنى والله احب أن أقتلك ، فحمى عند ذلك عمرو ، فاقتحم عن فرسه

فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على على فتنازلا وتجاولا فقتله علي ، وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة — وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم ، وأقبل على نحو النبى وهو منهال وتعفف عن أخذ سلب عمرو .

ورُمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحل وكان يقول اللهم لاتمتني حتى تقر عيني من بنى قريظة .

وبينا الرسول وأصحابه فى تلك الشدة اذ أقبل نعيم بن مسعود الغطفانى فقال : يارسول انى قد أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت ، فقال له : انما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة ، فخرج حتى أتى قريظة وكان لهم نديما فى الجاهلية فقال : يابني قريظة ، قد عرفتم ودى اياكم وخاصة بينى وبينكم ؛ قالوا لست عندنا بمتهم ، فقال لهم : ان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه الى غيره ، وان قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم ، فلا تقاتلوه مع القوم حتي تأخذوا منهم رُهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ، ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً فتناجزوه ، فقالوا : أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبى سفيان ومن معه : قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمداً ، وانه قد بلغنى أمر قد رأيت علىَّ حقا أن أبلغكموه

نصحا لكم ، فاكتموا عنى ، قالوا نفعل، قال: تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا اليه : انا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلين رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم حتي نستأصلهم ؟ فأرسلَ اليهم أن نعم ، فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : انكم أصلى وعشيرتي وأحب الناس الىّ ولا أراكم تتهمونني قالوا: ما انت عندنا بمتهم قال فاكتموا عنى قالوا نفعل، فما أمرك ؟ فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس أرسل أبو سفيان ورءوس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا : انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه ، فارسلوا اليهم ان اليوم يوم السبت وهو لانعمل فيه شيئا ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم ، فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولاطاقة لنا بذلك منه ـ فلما رجعت الرسل بما قالت قريظة صدقوا ماحدث به نعيم وأرسلوا الى بنى قريظة والله لاندفع اليكم رجلا واحداً من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت قريظة ان الذى ذكر لكم نعيم لحق ، مايريد القوم الا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم . فأرسلوا الى قريش وغطفان

انا لانقاتل معكم حتى تعطونا رهنا

وخذل الله بينهم وبعث عليهم الريح فى ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لاتقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء فقال : أبو سفيان يامعشر قريش انكم والله ماأصبحتم بدار مقام ــ واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره، ولقينا من شدة الريح ماترون ، فارتحلوا فانى مرتحل ، ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله الا وهو قائم .

وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم ، وكفى الله المؤمنين القتال وخلصهم من خطر كان يهدم ماينوا بين عشية أو ضحاها لو انتصر هؤلاء الحلفاء ، ويعيد أمر المدينة الى اليهود .

أمر بنى قريظـــة

ولما أصبح النبى انصرف عن الخندق الى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح ، فلما كان الظهر أذن مؤذنه : من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا ببنى قريظة ــ أراد رسول الله أن يفاجئهم ويحاصرهم جزاء ما كان منهم من الانضمام الى الأحزاب ونقضهم العهود والعقود من غير مبرر ــ وقدم على بن أبى طالب رايته الى بنى قريظة وابتدرها الناس فساروا ولما دنا علىٌ من الحصون سمع مقالة قبيحة منها لرسول الله فرجع الى النبى فقال له لا عليك ولو رأونى لم يقولوا شيئا فلما دنا النبى من حصونهم قال يا اخوان القردة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم

نقمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا، فحاصرهم النبى خمسا وعشرين ليلة حتي جهدهم الحصار ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، وكان حيي قد دخل مع قريظة فى حصنهم وفاء لكعب .

فلما رأوا أن رسول الله غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب لقومه : انى عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم ، قالوا وما هي ، قال نتابع هذا الرجل ونصدقه . . . قالوا لا نفارق حكم التوراة أبدا ولانستبدل به غيره ،قال : ان أبيتم فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالا مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ... قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم؟ قال فان أبيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت وانه عسى ان يكون محمد واصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد واصحابه غرة . قالوا تفسد علينا سبتنا . . قال ما بات رجل منكم منذ ولدته امه ليلة واحدة من الدهر حازما .

ثم ما الا أن بعثوا الى رسول الله أن ابعث الينا أبا لبابة لنستشيره في أمرنا فأرسله اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه فرق لهم ، وقالوا له : أترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقه انه الذبح ثم فطن الي أنه خان الله ورسوله بهذه الاشارة فانطلق ولم يعرج على رسول الله حتى ارتبط فى المسجد الى عمود من عمده فلما بلغ رسول الله خبره وكان قد استبطأه قال أما انه لو جاءنى لاستغفرت له ، فاما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه حتى يتوب الله عليه ، ثم نزلت على رسول الله توبته فى الليل فثار

الناس ليطلقوه فأبى إلا أن يطلقه النبي بيده فلما مر به النبى أطلقه بعد ست ليال .

عود ـ ونزل القرظيون على حكم النبى فتواثبت الأوس وقالوا يارسول الله انهم كانوا موالينـا دون الخزرج ، وقد فعلت فى موالى اخواننا بالأمس ما قد علمت ـ فقال النبى ألا ترضون يامعشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا بلى ، قال فذلك الى سعد بن معاذ فأتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة وأقبلوا به على النبى وهم يقولون يا أبا عمرو ، أحسن فى مواليك فان رسول الله انما ولاك ذلك لتحسن فيهم ، فلما أكثروا عليه قال : لقد آن لسعـد ألا تأخذه فى الله لومة لائم فلما انتهى الى النبى والمسلمين قال النبى : قوموا الى سيدكم فقاموا اليه فقـالوا يا أبا عمرو ، ان النبى قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم قال سعد : عليـكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا نعم ، وقال وعلى من هنا في الناحية التى فيها النبى وهو معرض عنه اجلالا ، فقال النبى نعم .

الحكم ، قال سعد فانى أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذرارى والنساء ، فقال النبى لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة أو سبع سموات والمعنى واحد .

ثم استنزلوا فحبسهم النبى بالمدينة فى دار بنت الحرث ، وخرج الى السوق فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق يُخرَج بهم اليـه ارسـالا وفيهم حيي وكعب وهم ستمائة أوسبعمائة الى تسعمائة ـ ولما نظر عدو الله حيى الى رسول الله قال والله

ما لمت نفسي في عداوتك ولـكنه من يخذل الله يخذل ـ ولم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة وهي التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته أثناء الحصار ، وقتل كل من أنبت منهم ـ ثم قسم أموالهم ونساءهم وأبناءهم على المسلمين وأعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال وأخرج منها الخمس فكان للفارس ثلاثة أسهم للفرس سهمان ولفارسه سهم ، وللراجل (من ليس له فرس) سهم وكان أول فيء وقعت فيه السُّهمانُ وأخرج منه الخمس

وبعث رسول الله أحد بني الأشهل بسبي من سبايا قريظة الى نجد فابتاع لهم به خيلا وسلاحا واصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو ، عرض عليها أن يتزوجها فقالت: بل تتركني في ملكك فهو أخف عليك فتركها ثم أسلمت بعد قليل ـ وأنزل الله في الخندق وبني قريظة من القرآن القصة في سورة الاحزاب .

والملحوظة في أمر قريظة أنهم أثناء الحصار لم يناوشوا ، فقيل ان ذلك لانهم لم يكونوا اهل حرب بل كانوا رجال حرث وزرع ، وانهم كانوا أقل طوائف اليهود الاخرى بأساً وشجاعة ، على انهم لم يسلموا إلا بعد حصار خمس وعشرين ليلة ، وبعد أن رأوا أنهم هالكون لامحالة على أي حال ، وعلى انهم لم يكونوا ينتظرون من حلفائهم الأوس هذا الغدر

هذا ـ وقد قضت هذه الغزوة على بطون اليهود في المدينة قضاء مبرما وهو جل ما كان يبغيه الأوس والخزرج منذ أزمان ـ وبقتلهم اضمحلت الحالة الاقتصادية والصناعية في المدينة وما حولها ، لانهم

كانوا أصحاب الايدى العاملة فيها ـ وهنالك نتائج لهذه الغزوة لا تخفى ومنها أن غنائم اليهود أثرى بها المسلمون وبيت مالهم ، فأصبحوا بحيث يستطيعون الانفاق من سعة على ما يريدون الشروع فيه من الغزو فى بلاد الحجاز وما يليها ، وبلاد الشام .

ومنها ان المنافقين من أهل المدينة اضطروا الى الاخلاص اضطراراً ، ولهذا الامر نتائجه التى تترتب على توحيد الوجهة .

ومنها ان قريشا رأت أن قوافلها التى تقصدم الشام اصبحت فى خطر محقق من غارات المسلمين عليها ، وأن النبى قد تفرغ الى الانتقام منهم ، فكان ذلك تمهيداً الى عقد هدنة الحديبية كما سيجيء .

موت سعد ـ ولما انقضى أمر قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ فمات واستجاب الله دعاءه ، فحضر رسول الله وأبو بكر وعمر وسمعت السيدة عائشة بكاء الاخيرين عليه .

مقتل ابن أبى الحقيق

وهو أبو رافع سلام بن أبى الحقيق ، وكان فيمن حزب الاحزاب على النبى ، وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف في عداوته للنبى وتحريضه عليه ، وكان مما صنع الله به لرسوله أن هذين الحيين من الانصار كانا يتصاولان تصاول الفحلين ، ولا تصنع الأوس شيئاً فيه عن النبى غناء الا قالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند النبى فى الاسلام ـ فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ، واذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوس كعب بن الاشرف قالت الخزرج : والله لايذهبون بها فضلا علينا أبداً ، فتذكروا رجلا فى عدائه للنبى كابن الاشرف فذكروا ابن أبى الحقيق وهو بخيبر ، فاستأذنوا النبى في قتله فأذن لهم ، فخرج اليه خمسة نفر من الخزرج فيهم عبد الله بن عتيك وقد أمّره النبى عليهم ، وعبد الله بن أنيس ، ونهاهم الرسول عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا حتى اذا قدموا خيبر أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلا فلم يدعوا بيتاً فى الدار الا أغلقوه على أهله ،

قال راوى القصة : وكان فى علية له اليها عجلة فاسندوا فيها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا عليه فخرجت اليهم امرأة فقالت : من أنتم ؟ قالوا أناس من العرب نلتمس الميرة ، قالت ذاك صاحبكم فادخلوا عليه ، فدخلوا وأغلقوا الحجرة عليهم وعليها ، فصاحت المرأة فنوهت بهم ، فابتدروه وهو على فراشه بأسيافهم ، ولما صاحت المرأة كادوا يقتلونها لولا ماذكروا من نهى النبى ، وتحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه فى بطنه حتى أنفذه ثم خرجوا وكان ابن عتيك سيىء البصر فوقع من الدرجه فوثئت يده وثئا شديداً ويقال رجله فحملوه ، وعلم اليهود فأوقدوا نيرانهم واشتدوا فى كل وجه يطلبونهم حتى اذا يئسوا رجعوا الى صاحبهم وهو يقضى بينهم ، وقال هؤلاء الخمسة كيف لنا بان نعلم بان عدو الله قد مات؟ وتطوع أحدهم فانطلق حتى دخل فى الناس فوجد امرأة وفي يدها مصباح وحولها رجال وهي تقول لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسى وقلت: أنى لابن عتيك بهذه البلاد ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه ثم قالت : فاظ والله يهود — فرجع الى اخوانه

فأخبرهم الخبر وقدموا على النبي فأخبروه بقتل عدو الله .

اسلام ابن العاص وابن الوليد

حدث عمرو بن العاص قال : لما انصرفنا مع الاحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أن رأى محمد يعلو الامور علواً منكراً ، واني لقد رأيت أمراً فما ترون فيه ، قالوا وماذا ؟ قال رأيت ان نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فان ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فانا أن نكون تحت يديه أحب الينا أن نكون تحت يدي محمد ، وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم الا خير ، فوافقوه وخرجوا بهداياهم اليه — وبينما هم عنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري بعثه النبي في شأن جعفر وأصحابه فدخل عليه ثم خرج ، ثم دخل عليه عمرو يستأذنه في قتل رسول محمد وتقدم اليه بالهدايا ، وسأله ماريد من قتل الضمري فغضب النجاشي غضبا شديداً وقال تسألني أن اعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله قال عمرو : أكذلك هو؟ قال ويحك ياعمرو ! أطعني واتبعه ، قال أفتبايعني له على الاسلام قال: نعم فبسط يده فبايعته ثم خرجت الى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت أصحابي اسلامي وخرجت عامداً الي رسول الله لأسلم ، فلقيت خالد ابن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان؟ قال : والله لقد استقام الميسم (أي تبين الامر ووضح الدليل) وان الرجل لنبي ، اذهب والله فأسلم فحتى متى ؟ قال : والله ماجئت الا

لأسلم ، قال فقدمنا المدينة على النبي فتقدم خالد فأسلم وبايع ، ثم دنوت فقلت يا رسول الله انى أبايعك على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر فقال رسول الله يا عمرو بايع فالاسلام يَجُبّ ما كان قبله ، وان الهجرة تجب ما كان قبلها فبايعته وانصرفت ـ وكان معهما حين أسلما طلحة بن أبي طلحة ، فاسلم معهما

غزوة ذى قرد

أغار عيينة بن حصن الفزارى فى خيل من غطفان على لقاح لرسول الله بالغابة وفيها رجل من بنى غفار وامرأة له فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة فى اللقاح ـ وكان أول من ندرهم سلمة بن الاكوع فأشرف فى ناحية سلع ورماهم بما كان في كنانته من نبل وبلغ الخبر رسول الله فصاح بأهل المدينة الفزع الفزع فترامت الخيول اليه ، وكان أول من انتهى الى النبي المقداد بن الاسود ثم تتابع الفرسان فأمر عليهم سعد بن زيد وقال له : اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك فى الناس فخرج وحمل فرسانه على القوم فقتلوا منهم ، وقتل أبو قتادة فارس الحى حبيب بن حصن ، وسار رسول الله حتي نزل بالخيل من ذى قرد وتلاحق به الناس وأقاموا يوما وليلة وقد استنقذوا بعض اللقاح ، فقال ابن الاكوع للنبى لو سرحتنى في مائة رجل لاستنقذت بقية السرح وأخذت باعناق القوم فقال له انهم الآن ليغبقون (يشربون) فى غطفان ، وقسم صلى الله عليه وسلم فى كل مائة رجل جزوراً وعاد قافلا حتى قدم المدينة ـ ويروي أن هذه الغزوة كانت بعد الحديبية وهي الاصح

غزوة بنى المصطلق

وهم بنو جذيمة بن كعب من خزاعة ـ بلغ رسول الله انهم يجمعون له وقائدهم الحرث بن أبى ضرار أبو جويرية بنت الحرث زوج رسول الله ، فخرج اليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بنى المصطلق ، وقتل من قتل منهم ، ونفل رسوله أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه ، ولم يقتل من المسلمين الا رجل من بنى كلب أصابه رجل من الانصار وهو يرى أنه من العدو

وبينا الناس على ذلك الماء وردت واردتهم ، فاختلف على الماء خادم لعمر بن الخطاب من بنى غفار مع سنان بن وبر الجهني حليف بنى عوف بن الخزرج ، فاقتتلا فصرخ الجهنى يا معشر الانصار وصرخ الغفارى يا معشر المهاجرين فغضب عبد الله بن أبى وقال أم والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل ، وقال لمن حضره من قومه هذا ما فعلتم بانفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم ، فسمع بذلك رسول الله وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مر به عبادة بن بشر فليقتله فلم يقبل وقال أذن فى الناس بالرحيل فأذن وكانت الساعة غير مناسبة فارتحل الناس ومشى ابن أبى الى النبي حينما سمع أن الحديث بلغه فحلف بالله ما قلت ، وكان شريفا فى قومه فتململ لابن أبى من حضر عند النبى من الانصار من أصحابه ، ولما استقل النبى وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه وقال له لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فى مثلها ، فقال له : أو ما بلغك ما قال

صاحبكم ؟ قال : وأي صاحب يا رسول الله ؟ قال : عبد الله بن أبى قال : وما قال ؟ فقص عليه النبى ماسمع عنه ، قال : فأنت يارسول الله والله تخرجه منها ان شئت : هو والله الذليل وأنت العزيز ، ثم قال يارسول الله أرفق به فوالله لقد جاءنا الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى انك قد استلبته ملكا — ثم مشى رسول الله يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فناموا من التعب وانما فعل النبى ذلك بالناس ليشغلهم عن حديث ابن أبى ، ثم ارتحلوا و نزلت سورة المنافقين فى ابن أبى ومن كان على مثل أمره — وبلغ عبد الله بن أبى الذي كان من أمر أبيه فجاء الى النبى وقال بلغنى انك تريد قتل أبي فيما بلغك عنه ، فان كنت لابد فاعلا فمرنى به . . . واني أخشى أن تأمر به غيرتى فيقتله فلا تدعنى نفسى الى قاتل أبى يمشى في الناس فأقتله ، فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار ، فقال الرسول بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا ، فكان ابن أبى بعد ذلك اذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويعنفونه ، فذكر عمر النبى بشأنهم هذا وقال كيف ترى ياعمر ؟ أم والله لو قتلته يوم قلت لى أقتله لأرعدت له أنف ، لو أمرتها اليوم لقتلته فقال عمر : أمر رسول الله أعظم بركة من أمري

وأصاب رسول الله سبيا من بنى المصطلق قسمه في المسلمين وكانت جويرية بنت الحرث قد وقعت فى سهم ثابت بن قيس فكاتبته على نفسها فأتت رسول الله فى كتابتها وقالت له أنا جويرية بنت الحرث بن أبى ضرار سيد قومه ، وقد أصابنى من البلاء ما لايخفى عليك فوقعت

فى سهم ثابت فكاتبته على نفسى فجئتك استعينك على كتابتك وأتزوجك قال : قد فعلتُ فانظروا ماذا كانت نتائج هذا الزواج ، ان المسلمين لما علموا أن الرسول تزوج جويرية قالوا في شأن أسرى قومها : أصهار رسول الله وأطلقوا ما بايديهم ولقد عتق بتزويجه اياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ـ أما قومها فقد أسلموا عقب ذلك، فارسل اليهم رسول الله الوليد بن عقبة فلما سمعوا به ركبوا اليه فهابهم ورجع الى رسول الله فاخبره أن القوم هموا بقتله ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم فاكثر المسلمون في ذكر غزوهم حتى هم النبى بان يغزوهم ـ وبينما هم على ذلك قدم وفدهم على الرسول وقالوا سمعنا برسولك فخرجنا اليه لنكرمه ونؤدى اليه ما قبلنا من الصدقة فانشمر راجعا فبلغنا أنه زعم لرسول الله أنا خرجنا اليه لنقتله والله ما جئنا لذلك ـ وكانت خزاعة بعد ذلك عيبة نصح لرسول الله مسلمها ومشركها وذلك كله نتيجة هذه المصاهرة

حديث الافك

ولما كان رسول الله قريبا من المدينة وكانت معه عائشة في سفره ذلك قال فيها أهل الافك ماقالوا

قالت عائشة ، لما قفل رسول الله من سفره ذلك وكان قريبا من المدينة نزل منزلا فبات به بعض الليل ثم أذن فى الناس بالرحيل فارتحلوا وخرجت لبعض حاجتى وفى عنقى عقد لى فيه جزع ظفار ، فلما فرغت انسل من عنقى ولا أدرى فلما رجعت الى الرحل التمسته فى عنقى فلم أجده وقد أخذ الناس فى الرحيل ، فرجعت الى مكانى فالتمسته حتى

وجدته ، وجاء القوم الذين رحلون بعيري فاخذوا الهودج وهم يظنون أنى فيه ، فاحتملوه على عادتهم وانطلقوا ورجعت الى المعسكر وما فيه من داع ولا مجيب ، فتلففت بجلبابى واضطجعت في مكانى وعرفت انهم يرجعون الىَّ اذا افتقدونى ، فوالله انى لمضطجعة اذ مر بى صفوان بن المعطل وقد كان تخلف عن المعسكر لحاجته فلم يبت مع الناس ، فلما رأى سوادى أقبل حتى وقف فعرفنى ، وكان رآنى قبل أن يضرب الحجاب فاسترجع وقال ما خلفك ، قالت فما كلمته ، ثم قرب البعير وقال اركبى ، فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعا يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدتُ حتى أصبحتُ ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودنى فقال أهل الافك ما قالوا ، فارتج العسكر ، والله ما أعلم بشىء من ذلك ، ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوي شديدة ولا يبلغنى من ذلك شىء .

وانتهى الحديث الى النبى وأبويها فكتموا عنها الأمر حتى أبلت ، وفطنت الى شىء من جفاء رسول الله فطلبت اليه أن تمرض فى بيت أمها ، فأجابها الى ما طلبت ، فلما شفيت خرجت فى بعض الليالى لتقضى حاجة ومعها أمرأة ، فأخبرتها بحديث الناس فى شأنها فرجعت تبكى وتعتب على أمها ، فتلطفت معها ، وكان الذى يتولى كبر هذا الامر عبد الله بن أبى فى رجال من الخزرج ، وقام رسول الله فخطب فى الناس وقال مابال رجال يؤذونى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق ، والله ماعلمت منهم الا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه الا خيراً ،

ومايدخل بيتا من بيوتي الا وهو معي ، فقال أسيد بن حضير يارسول الله ان يكونوا من الأوس نكفكهم ، وان يكونوا من اخواننا الخزرج فمر بأمرك ، فوالله انهم لأهل أن تضرب أعناقهم ، فحصل بينه وبين سعد بن عبادة مشادة حتى كاد يكون بين الحيين شر .

واستشار رسول الله عليا وأسامة فأثنى اسامة خيراً،وأما على فقال ان النساء لكثير وانك لقادر على أن تستخلف .

ثم دخل بيت أبي بكر وطلب اليها أن تتوب ان كانت قارفت سوءا مما يقول الناس وكانت تبكي فقلص دمعها وانتظرت من أبويها أن يجيبا النبي فلم يتكلما ، فقالت وأيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي وأصغر من أن ينزل الله في قرآنا يقرأ به في المساجد ويصلى به ، وطلبت الى أبويها أن يجيبا فلم يفعلا ، فاستعبرت وبكت وقالت والله لا أتوب الى الله مما ذكرت أبدا ، وقالت فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ، فما برح رسول الله مجلسه حتى جاءه الوحى فلم تفزع ولم تبال ، أما أبواها فكادت تخرج أنفسهما فرقا من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس ، ثم سرى عن رسول الله فجلس وقال أبشري ياعائشة فقد أنزل الله براءتك ثم خرج على الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ، وأمر بمن كانوا قد أفصحوا بالفاحشة فضربوا حدهم رجالا ونساء ، وكان أبو بكر ينفق على أحدهم لقرابته فحلف لا ينفعه بنفع أبدا ، غير أنه رجع عما عزم عليه حين نزل في آيات البراءة قوله تعالى « ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الآية . . . »

ويقال أن حسان بن ثابت كان من الذين أنفذ فيهم هذا العقاب ، أما ابن المعطل فقد تبين أنه كان رجلا حصورا ما يأتى النساء .

أمر الحديبية

وبيعة الرضوان وصلح قريش

خرج رسول الله فى آخر سنة ست معتمرا لا يريد حربا ، واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش الذى صنعوا أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت ، فابطأ عليه كثير من الأعراب ، فخرج بمن معه من المهاجرين والانصار ومن تبعه ، وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه ، وليعلموا أنه انما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له — وكان الناس سبعمائة ، أو أكثر الى ألف وأربعمائه ، وكان ما ساقه من الهدى سبعين بدنة — سار رسول الله بالناس من الطريق الغربى حتى اذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال له : يارسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا ، معهم العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذي طوى (غربى مكة) يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا ، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها — فقال له النبي : يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ، فان هم أصابونى كان الذي أرادوا وان أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الاسلام وافرين » وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ، فو الله لا أزال أجاهد على هذا الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة ؟

ثم قال من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها. فدلهم رجل من أسلم على الطريق الذي سلكوه وكان وعرا أجرل بين شعاب، فلما قطعوه أمرهم رسول الله أن يسلكوا ذات اليمين في طريق ثنية المرار مهبط الحديبية، فلما رأت خيل قريش أنهم قد خالفوا طريقهم رجعوا راكضين الى قريش.

وبركت ناقة رسول الله فقال الناس خلأت قال ما خلأت وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يسألوني فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها، ثم قال لصحبه أنزلوا فقالوا ما بالوادي ماء فدلهم على ناحية وطريقة حصلوا بها على الماء فشربوا وشربت لهم.

ثم ان بديل بن ورقاء الخزاعي جاء رسول الله في رجال من خزاعة وسألوه ما الذي جاء به؟ فأخبرهم انه لم يأت يريد حربا، وانما جاء زائرا للبيت، ثم قال لهم نحو ما قال لبشر، فرجعوا الى قريش وقالوا لهم، انكم تعجلون على محمد، ان محمداً لم يأت لقتال وانما جاء زائرا لهذا البيت، فاتهموهم وجبهوهم، وكانت خزاعة عيبة نصيح للرسول «كما سلف» مشركها وكافرها لا يخفون عنه شيئا كان بمكة.

وبعثت قريش الى النبي رجلا من بني عامر بن لؤي فقال له النبي نحوا مما قال لبديل وأصحابه، فرجع الى قريش فأخبرهم

ثم بعثوا اليه سيد الاحابيش الحليس بن علقمة، فلما رآه الرسول قال ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه، فبعثوه فلما رآه رجع الى قريش ولم يصل الى الرسول اعظاما لما رأى فقالوا له:

اجلس فما أنت الا أعرابى لا علم لك، فقال : والله ما على هذا حالفناكم، أيصد عن بيت الله من جاء معظما له ، والذى نفس الحليس بيده لتُخلن بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرن بالاحابيش نفرة راجل واحد (وهذا أول الخاذل) فقالوا له كف عنا حتى نأخذ لانفسنا مانرضى به .

ثم بعثوا الى النبى عروة بن مسعود الثقفى فقال لهم أسمع منكم ما أكره فقالوا ما أنت عندنا بمتهم ، فخرج الى النبى وقال له : يامحمد أجمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم الى بيضتك لتفضها بهم ، انها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قال وايم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا فشتمه أبو بكر ، ثم جعل عروة يتناول لحية النبى وهو يكلمه فكان المغيرة بن شعبة يقرع يده ويقول اكفف يدك قبل ألاتصل اليك فشتمه فتبسم النبي وقال لعروة هذا ابن أخيك المغيرة ثم ان رسول الله كلمه بنحو مما كلم أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حربا فقام من عنده وقد رأى مايصنع به أصحابه من الاخلاص والطاعة والمبادرة الى تنفيذ مايشير به فرجع الى قريش وقال لهم انى قد جئت كسرى فى ملكه وقيصر في ملكه والنجاشى فى ملكه : وانى والله مارأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه ، وقد رأيت قوما لايسلمونه فى لشىء أبدا ، فروا رأيكم

ثم ان قريشا بعثوا أربعين أو خمسين رجلا وأمروهم أن يطيفوا بعسكر الرسول ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا فأخذوا أخذا . ولكن رسول الله عفا عنهم وخلى سبيلهم كرما وفضلا وبعد نظر وحسن سياسة.

ودعا عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ماجاء ، فقال انى أخاف قريشا على نفسى ، وليس بمكة من بنى عدى بن

كعب أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ، ولكني أدلك على رجل أعز بها مني ، عثمان بن عفان. فدعا النبي وأرسله الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، فخرج فلقيه إبان بن سعيد بن العاص فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة النبي ، فقالوا له ان شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لافعل حتى يطوف رسول الله ، فاحتبسته قريش عندها ، فبلغ النبي والمسلمين أن عثمان قتل ، فقال النبي لانبرح حتى نناجز القوم .

ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت أو على الا يفروا ، ولم يتخلف عنه الا أحد بني سلمة — ثم أتي النبي أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل .

الهـــدنة

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي الى النبي وقال له أنت محمد فصالحه ولا يكن في صلحه الا أن يرجع عامه هذا ، فوالله لاتحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبدا ، وجاء سهيل فلما رآه النبي مقبلا قال قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل .فلما انتهى الى النبي تكلم فأطال ، ثم جرى بينهما الصلح ، ، فلما التأم الأمر ولم يبق الا الكتاب ، وثب عمر فأتى أبا بكر فقال : أليس برسول الله ؟ قال بلى ، قال أولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى ،قال أوليسوا بالمشركين؟ قال بلى ، قال فعلام نعطى الدنية في ديننا ؟ فطمأنه ثم ذهب الى النبي فقال

له نحوا مما قال عمر ، فقال النبى أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى .

ودعا رسول الله على بن ابى طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل لاأعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، فأمره الرسول بموافقته ، ثم قال اكتب : هذا ماصالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو شهدت أنك رسول الله لم اقاتلك ولكن اكتب اسمك واسم ابيك ، فقال النبى : اكتب هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على انه من أتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وان بيننا عيبة مكفوفة (صدور منطوية على مافيها لاتبدو امنها عداوة) وانه لااسدال ولا اغلال (خيانة) وانه من أحب أن يدخل فى عهد محمد وعقده دخل فيه ، وانه من أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه

فتواثبت خزاعة فقالوا نحن فى عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم ، وانك ترجع عنا عامك هـذا فلا تدخل علينا مكة ، وانه اذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب السيوف فى القرب لاتدخلها بغيرها

وبينا رسول الله يكتب الكتاب اذ قدم أبو جندل بن سهيل يرسف في الحديد قد انفلت الى النبى فقام سهيل فضرب ابنه وقال يامحمـد قد لجت القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال صدقت ، فجعل سهيل

يجره ليرده الى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته ويقول يامعشر المسلمين أأرد الى المشركين يفتنوني في ديني فقال له النبى اصبر أبا جندل واحتسب ، فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا

ووثب عمر مع أبى جندل يقول له اصبر . ويدنى سيفه رجاء أن يأخذه فيضرب به أباه فضن الرجل بأبيه ، ونفذت القضية ، وشهد على الصلح رجال من المسلمين ورجال من المشركين .

وكان الصحابة لايشكون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله فلما رأوا ما رأوا من الصلح . دخل على الناس من ذلك أمر عظيم ، فلما فرغ النبى من الصلح قام الى هديه فنحره ثم جلس فحلق رأسه ، وتواثب أصحابه بعده فنحروا وحلقوا وقصروا ثم انصرف النبى بهم من وجهه ذلك فاقلا حتى اذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح ، وفيها هذه القضية ـ وكان صلح الحديبة فتحا مافتح في الاسلام فتح قبله كان أعظم منه ، انما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وآمن الناس كلهم بعضهم بعضا والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يُكلم أحد فى الاسلام يعقل شيئا الا دخل فيه ـ ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان فى الاسلام قبل ذلك أو أكثر ، ويروي أن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كان اسلامهما في هذه الهدنة

والعجب في أمر الحديبية أن تهادن قريش رسول الله وتطلب مصالحته ، وهذا دليل واضح على أنهم ضعفوا عن منازلة الرسول وصحبه مع أنهم أهل الدار والمنعة وقد بينه الله فى قوله (ولو قاتلكم الذين كفروا

لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا) وفى الآية اشارة أخرى الى أن حلفاء قريش فتروا عن مساعدتهم لطول مادعوهم للاستنصار بهم وهنالك سبب جيد لتعليل ما كان من مسارعة قريش الى طلب الصلح وهو أنها رأت أن حلفاءها من قريظة قد أصابهم ما أصابهم من رسول الله ، فأيقنت الهلاك وتمنت لو أن بينها وبين الرسول سلاما وخافت على قوافلها المتردده بين الحجاز والشام أن تكون عرضة لانتهاب المسلمين ، فيقع بهم من ضيق العيش مالا قِبل لهم بدفعه ، لذلك كله عملت قريش على الصلح

أما ما كان من مخالفة الرسول أصحابه فى الرأي بعد أن بايعوه على الموت واستعدوا لفتح مكة ، وبعد أن أظفرهم الله على المشركين وأسروا طليعتهم التى مَنَّ رسول الله عليهم بالعتق ، فقد علل له الله تعالى فى قوله (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ـ الآية أى لولا ذلك لما كف أيدى المؤمنين عن قريش ـ على إن الله سبحانه قد وعدهم فتح مكة فى فرصة أخرى اذ قال (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين)

وقد أوفي رسول الله لقريش بما عاهدهم عليه ورد بعض المسلمين الفارين من عذاب أهل مكة اليهم دون المسلمات ، لا ضعفا عن حمايتهم ولا خوفا من قريش ولكن وفاء بالعهد ان العهد كان مسئولا ، واتباعا لسياسة المسالمة التي أمره الله بها فى قوله (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله)

على أن فى رد المسلمين الى مكة عمارة البيت وزيادة الخير له فى الصلاة

بالمسجد الحرام والطواف بالبيت العتيق فتأمل، أما النساء فليس فى العهد ما يتناولهن لأنه كان صريحا فى الرجال دونهن

غزوة خيبر

لما عاد النبي الى المدينة بعد هدنة الحديبية ، أقام بقية ذى الحجة وبعض المحرم ، وخرج فى أواخر المحرم سنة ٧ الى خيبر فى ألف وأربعمائة رجل،معهم مائتا فارس ، وكانت الراية الى على بن أبى طالب ، ثم سلك الرسول على عِصْر ثم على الصهباء ثم أقبل حتى نزل وادى الرجيع ليحول بين غطفان وبين أن يمدوا أهل خيبر ، وكانوا مظاهرين لهم على رسول الله

ولما سمعت غطفان بمنزل رسول الله من خيبر جمعوا له ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه ، حتى اذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهليهم حسا ، ظنوا أن القوم قد خالفوا اليهم فرجعوا على أعقابهم فأقاموا فى ديارهم وخلوا بين رسول الله وبين خيبر

ونزل النبي خيبر ليلا فبات حتى أصبح ، فاذا اليهود قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوه والجيش، قالوا : محمد والخميس معه فأدبروا هرابا ، فقال النبى الله أكبر ، خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين

وندب رسول الله الاموال يأخذها مالا مالا وحصنا حصنا، فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ، ألقيت عليه منه رحا فقتلته ، ثم القموص حصن بنى أبى الحقيق ، وأصاب النبي

منهم سبايا منهن صفية بنت حيي بن أخطب وكانت عند أحد بني أبي الحقيق فاصطفاها الرسول لنفسه وفشت السبايا من خيبر في المسلمين

ثم جعل الرسول يتدنى الحصون والأموال حتى فتح حصن الصعب وما بخيبر حصن كان أكثر طعاما وودكا منه — ثم انتهى الى الوطيح والسلالم وكانا آخر حصون أهل خيبر افتتاحا فحاصر من فيها رسولُ الله بضع عشرة ليلة

وخرج مرحب اليهودي وقد جمع سلاحه وقال هل من مبارز فقال النبي: من لهذا؟ قال محمد بن مسلمة أنا له يارسول الله، أنا والله الموتور الثائر، قتل أخي بالأمس. فقال: قم اليه ودعا له، فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه، وكلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فنن، ثم حمل مرحب على ابن مسلمة فضربه فاتقاه بالدرقة فوقع سيفه فيها فعضت به فامسكته فضربه محمد فقتله

وخرج ياسر أخو مرحب وهو يقول: هل من مبارز؟ فبرز اليه الزبير بن العوام فقتله، وأتى رسول الله بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق زوج صفية، وكان عنده كنز بني النضير فسأله عنه فجحد أن يكون يعرف مكانه. فقال له النبي أرأيت إن وجدناه عندك، أأقتلك؟ قال نعم، وجاء رجل من اليهود فدل الرسول على مكان الكنز فوجدوا منه شيئا فسألوه عن الباقي فأنكر، وعذبوه فلم يقر فدفعه الرسول الى محمد بن مسلمة فقتله بأخيه محمود

ولما أيقن أهل الوطيح والسلالم الهلاك من شدة الحصار وطوله سألوا الرسول أن يسيرهم، وأن يحقن دماءهم ففعل، فنزلوا على ذلك، ولما نزلوا طلبوا الى الرسول أن يعاملهم في الأموال على النصف وقالوا : نحن أعلم بها منكم وأعمر لها ، فصالحهم رسول الله على النصف على أنا اذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم

ولما سمع أهل فدك بما صنعوا بعثوا الى رسول الله فسألوه أن يصالحهم على مثل هذا الصلح ففعل ، وصار نصف خيبر فيئا للمسلمين، ونصف فدك خالصا للنبي اذ لم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب، يصرف النبي مما يأتيه منها على أبناء السبيل ولم يزل أهلها بها حتى استخلف عمر فاجلى اليهود عن الحجاز

أما استبقاء اليهود في أموالهم يدبرون أمورها ثم يقاسمهم المسلمون ورسولهم على النصف ، فتدبير محكم الأطراف ، سره أن المسلمين لا يستطيعون أن يقوموا مقام اليهود في مزاولة ما يزاولون ، ولو أنه وكل اليهم القيام بذلك ما كانوا ليُغلوا من هذه الأموال ما يغله اليهود منها ، على أن الرسول في حاجة الى الرجال في ذلك الوقت ليدفع عن دعوته ما تتعرض له من الأخطار ، على أن الرسول قد احتاط فجعل أمر اليهود اليه ان شاء أبقاهم وان شاء أخرجهم

وفي خيبر أهدت زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مِشْكم شاة مصلية مسمومة الى رسول الله ، فأكل منها هو وبشر بن البراء بن معرور ، فأساغ الأكل بشر فمات ، ولم يسغه رسول الله فنجا، ثم جيء بالمرأة فاعترفت ، فقيل لها : ما حملك على ذلك ؟ قالت بلغتَ من قومي

مالا يخفى عليك . فقلتُ ان كان ملِكا استرحت منه ، وان كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها

ولما فرغوا من خيبر انصرفوا الى وادي القرى فحاصر أهلها ليالى ، فافتتحه عنوة وترك الخل والأرض فى أيدى أهل الوادى ، وعاملهم نحوما عامل أهل خيبر فبقوا كذلك الى أن أجلاهم عمر

وقد شهد خيبر مع رسول الله نساء من نساء المسلمين فرضخ لهن من الفيء ولم يضرب لهن بسهم ، وكن قد طلبن اليه أن يخرجن معه الى خيبر لمداواة الجرحى واعانة المسلمين بما يستطعن فقال لهن على بركة الله

ولما عاد رسول الله الى المدينة جاءه الحجاج السلمى . وقال له: ان لى بمكة أموالا فأذن لى فأذن له فقال لابدَّ لى من أن أقول ، قال قل ، فلما ورد مكة ولم يكونوا قد علموا باسلامه ، وعلموا بمسير الرسول الى خيبر سألوه فقال عندى من الخبر مايسركم فقالوا إيه ياحجاج اقال هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط . وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط ، وأسر محمد أسرا ، وقالوا لانقتله حتي نبعث به الى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان من رجالهم ، ففرحوا بهذا الحديث بزمته فقال لهم : أعينونى على جمع مالى بمكة حتي أعود الى خيبر فاصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني النجار الى ماهنالك ، فقاموا فجمعوه له

وسمع العباس الخبر فجاء الي الحجاج فأخبره أنها خديعة ، وما جئت إلا لآخذ مالى فرقا من أن اغلب عليه ، ثم حدثه بالصحيح من أخبار الرسول فى خيبر وماحولها ، وقال له : اكتم عنى فاذا مضت ثلاث فاظهر أمرك فهو والله على ماتحب ، والله لقد تركت ابن أخيك عروسا

على بنت ملكهم يعني صفية فلما انقضت الثلاث أخبر العباس قريشا فأسفوا وما أنشبوا أن جاءهم الخبر بذلك

هذا أما غنائم خيبر فقد قسمت كما هي العادة فى قسم الغنائم وأما أرضها فقد قسمها النبي بين من حضرها من أهل الحديبية ، وكانت الكتيبة خمس الله وسهم النبي وسهم ذوى القربى واليتامي والمساكين ، وطعم لأزواج رسول الله وطعم رجال مشوا بين الرسول وبين أهل فدك فى الصلح — وكانت عدة الذين قسمت عليهم خيبر من الصحابة ألفا وثمانمائة سهم برجالهم وخيلهم : الرجال ألف واربعمائة والخيل مائتا فرس

قدوم جعفر ومهاجرة الحبشة

ويوم فتح خيبر قدم جعفر بن أبى طالب من الحبشة على رسول الله فقبّل له بين عينيه وأكرمه وقال : ماأدري بأيهما أنا أسر ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟ وقدم معه عدد كبير من الذين كانوا قد هاجروا الى الحبشة لأن رسول الله بعث فيهم الى النجاشى عمرو بن أمية الضمري فحملهم فى سفينتين فقدم بهم على النبي وهو بخيبر بعد الحديبية ، ومنهم خالد بن سعيد بن العاص وامرأته وأبناه سعيد بن خالد وامة بنت خالد ، وأخوه عمرو بن سعيد ، وأبو موسى الأشعرى وغيره وكانوا جميعا ستة عشر رجلا

عمرة القضاء

ولما رجع رسول الله من خيبر الى المدينة أقام بها شهرى ربيع وجمادين ورجبا وشعبان ورمضان وشوالا يبعث فيما بين ذلك من غزوة

سراياه ، ثم خرج فى ذي القعدة سنة ٧ ، فى الشهر الذى صده فيه المشركون ، معتمرا عمرة القضاء مكان عمرته التي صدوه عنها ويقال لها عمرة القصاص لأن الرسول اقتص منهم فدخل مكة في ذى القعدة فى الشهر الحرام الذى صدوه فيه

وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه ، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه وتحدثت قريش بينها أن محمدا وأصحابه في عسرة وجهد وشدة ، وصفوا له عند دار الندوة لينظروا اليه والى أصحابه ، فلما دخل الرسول المسجد اضطجع بردائه وأخرج عضده اليمنى ، وقال رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة ، ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه — وأقام النبي بمكة ثلاثا تزوج فى خلالها وهو محرم ميمونة بنت الحرث ، فجاءه حويطب بن عبد العزى فى نفر من قريش وكانت قد وكلته باخراج النبى من مكة ، فقالوا له : انه قد انقضى أجلك فاخرج عنا ، فقال لهم : وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه ؟ فقالوا . لاحاجة لنا فى طعامك فاخرج عنا ، فخرج النبى وانصرف الى المدينة ، فأنزل الله عليه (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، الآية)

غزوة مؤته

وهى من أرض البلقاء بالشام وكان غزوها فى جمادى الأول سنة ثمان ، بعث رسول الله بعثه اليها واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال: ان اصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس ، فان أصيب جعفر فعبدالله

ابن رواحة على الناس ، فتجهز الناس واستعدوا للخروج وكانوا ثلاثة آلاف ، فحضر النبي خروجهم وودعهم ودعا لهم وعاد ، فساروا حتى نزلوا معان فبلغهم أن هرقل قد نزل مؤاب من أرض البلقاء في مائة الف من الروم وانضم اليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلي مائة الف عليهم رجل من بلي — فلما بلغ المسلمين الأمر ، أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم وقالوا أنكتب الى رسول الله فنخبره بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له؟ فشجع الناس ابن رواحة وقال : والله ياقوم ان التي تكرهون للتي خرجتم اياها تطلبون ، الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ولا نقاتلهم الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي احدى الحسنيين : اما ظهور واما شهادة ، فقال الناس : صدق والله وساروا معه فالتقاهم جموع الروم والعرب بقرية يقال لها مشارف ، وانحاز المسلمون الى مؤتة فدنا منهم العدو ، والتقي الناس عندها فتعبى لهم المسلمون ثم التقوا واقتتلوا فقاتل زيد براية النبي حتى شاط في رماح القوم ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى اذا ألحمه القتال اقتحم عن فرسه وقاتل حتى قتل ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة — فأخذ الراية عبد الله بن رواحة الخزرجي وأخذ سيفه وتقدم فقاتل حتى قتل ، فأخذ الراية أحد بني العجلان وقال يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا أنت قال ماأنا بفاعل فاصطلحوا على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى بهم (حاجزهم) ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف الناس ، وعاد المجاهدون الى المدينة وقد اصيبوا فلما دنوا تلقاهم رسول الله

والمسلمون فجعل الناس يحثون عليهم التراب ويقولون يافرار فررتم في سبيل الله فيقول النبي ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار ان شاء الله تعالى

هذا وقد جاء الخبر من السماء الى رسول الله بصورة هذه الكارثة فحدث الناس بها قبل قدوم خالد ، وقد لقب خالد في حديثه بسيف الله فأطلق الناس منذ ذلك هذا اللقب عليه

مكاتبة الملوك

لما عقد رسول الله الهدنة مع قريش شرع يبلغ ما أنزل اليه من ربه، فكتب الى الملوك ومن على شاكلتهم يدعوهم الى الاسلام والتصديق بنبوته وأن الله أرسله للناس كافة بشيرا ونذيرا ، ويحذرهم عاقبة العناد، وأن عليهم وحدهم إثم رعاياهم اذا لم يستجيبوا لله وللرسول

فأرسل حاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس بمصر، وشجاع بن وهب الى الحرث الغساني ، ودحية الكلبي الى قيصر ، وسليط بن عمرو العامري الى هوذة الحنفي، وعبد الله بن حذافة الى كسرى ، وعمرو بن أمية الضمري الى النجاشي، والعلاء بن الحضرمي الي المنذر بن ساوى.

فأما المقوقس فانه قبل كتاب النبي وأهدى اليه أربع جوار منهن مارية أم ابراهيم بن رسول الله وأما قيصر فقبل الكتاب وتريث حتى يكتب الى رجل من أهل الكتب برومية يسأله عن شأن النبي فلما جاءه الخبر منه بأنه النبي الذي كنا ننتظره فصدقه ، قيل إنه جمع بطارقة

الروم وأشرف عليهم فقال : انه جاء فى كتاب هذا الرجل يدعونى الى دينه وأنه النبي الذى نجده فى كتبنا فهلم فلنتبعه ونصدقه ـ فرفضوا وتولوا مدبرين ـ فقال : ردوهم وخافهم على نفسه ، وقال لهم : انما قلت لكم ما قلت لأنظر كيف صلابتكم في دينكم ، وقد رأيت منكم ما سرني ، فانطلقوا

وكان كتاب النبى الى قيصر وهو هرقل : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان توليت فان إثم الاكارين (العامة) عليك

وأما الغسانى فانه قال من ينزع ملكي منى ، أنا سائر اليه

وأما النجاشى فانه لما جاءه الكتاب آمن وأسلم على يد جعفر بن أبى طالب ، و أرسل اليه ابنه في ستين من الحبشة فغرقوا فى البحر ، وأرسل اليه رسول الله ليزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان وكانت من مهاجرة الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصر ومات هنالك ، فخطبها النجاشى الى النبى فأجابت وأصدقها النجاشى أربعمائة دينار ، فلما سمع أبو سفيان قال : ذاك الفحل لا يقدع أنفه

وأما كسرى فمزق الكتاب وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله ، وانى رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، فأسلم تسلم ، وان توليت فان اثم المجوس عليك.

وقال كسرى يكتب الى بهذا وهو عبدى ؟ وكتب الى باذان وهو باليمن أن ابعث الى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به ، فبعث باذان رجلين وكتب معهما يأمر النبى بالمسير الى كسرى، وتقدم الى احدهما ان يأتيه بخبر النبى ، وسمعت قريش بذلك ففرحوا وقالوا أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك، كفيتم الرجل ـ فلما قدما على رسول الله فاعلماه بما قدما له وحذراه عاقبة الرفض لئلا يهلكه كسرى ويهلك قومه ـ فاخبرهما أن الله سلط على كسرى ابنه شيرون فقتله ، وأمرهما أن يعودا ويقولا لباذان أسلم ، فان أسلم اقرّه على ما تحت يده وأملكه على قومه ، فما أخبراه الخبر حتى قدم عليه كتاب شيرويه يخبره بقتل كسرى وأنه قتله غضبا للفرس لما استحل من قتل اشرافهم ويأمره باخذ الطاعة له باليمن وبالكف عن النبى ، فلم يلبث باذان أن أسلم وأسلم معه أبناء من فارس

وأما هوذة الحنفي وهو ملك اليمامة فانه قال وكان نصرانيا : ان جعل الأمر لى من بعده أسلم، وسرت اليه ونصرته، والا قصدت حربه، أرسل اليه بذلك رجلين فأسلما وأقام أحدهما عند رسول الله حتى قرأ سورة أو اكثر من القرآن ثم عاد الى اليمامه وكان يسمى الرجال أو الرحال بن عنفوة ، وشهد أن الرسول أشرك مسيلمة معه ، فكانت فتنته أشد من فتنة مسيلمة

وبعد فقد بلغ الرسول رسالة ربه، وما على الرسول الا البلاغ المبين ولكنه هنا قد بلغ الملوك لا الشعوب ، والحكمة فى ذلك واضحة من أن الملوك ومن على شاكلتهم من الرؤساء والقادة هم الذين اذا رسموا الى

الناس خلفه اتبعوه، وإذا سلكوا طريقا سلك الناس من وراءهم هذا الطريق، لأن الناس على دين ملوكهم، وهم أيضا الذين ينتظر أن يقوموا في وجه الدعوة ليحولوا بينها وبين شعوبهم حتى لا يعتنقوا الاسلام فيثوروا عليهم ويستنزلوهم من عروشهم ويجعلوهم معهم في مستوى واحد يصبحون به تابعين بعد أن كانوا متبوعين، مأمورين بعد أن كانوا آمرين، ومن ذا الذي يرغب في تقويض دعائم ملكه، أو لا يتعرض الى من يقصد تحطيم بناء مجده؟

لذلك قصدهم الرسول بالكتابة وجعل التبعة في عدم وصول الدعوة الى شعوبهم واقعة عليهم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

فتح مكة

والأسباب الموجبة المسير اليها وفتحها في رمضان سنة ثمان

أقام رسول الله بعد غزوة مؤتة جمادى الآخرة ورجبا — ثم ان بني بكر بن عبد مناة بن كنانة، عدت على خزاعة وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتير.

وكان الذي هاج مابين بكر وخزاعة أن رجلا من حلفاء بكر خرج تاجرا فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله، فعدت بكر على رجل من خزاعة فقتلوه، فعدت خزاعة قبيل الاسلام على بني بكر ثم جاء الاسلام فتشاغل الناس به — وفي صلح الحديبية دخلت خزاعة في عقد رسول الله، ودخل بنو بكر في عقد قريش — فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الديل من بني بكر، وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأرا بأولئك النفر الذين أصابوا منهم، فخرج نوفل بن معاوية

الديلى فى بنى الديل وهو يومئذ قائدهم ، وليس كل بنى بكر بايعه حتى بَيَّتَ خزاعة على الوتير فأصابوا منهم ، ورفدت قريش بنى بكر بالسلاح وقاتلوا معهم بالليل مستخفين حتى جاوزوا خزاعة الحرم فقالت بنو بكر : يانوفل قد دخلنا الحرم ، الهك الهك ، فقال لا إله له اليوم ، يابنى بكر أصيبوا ثأركم ، انكم لتسرقون فى الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟

ولجأت خزاعة الى دار بديل بن ورقاء ودار مولاهم رافع — فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ماأصابوا ونقضوا ماكان بينهم وبين الرسول من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخزاعى حتى قدم على النبى بالمدينه فوقف وهو جالس بالمسجد بين ظهرانى الناس وقال .

يارب إنى ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا

الى آخر رجزه الذي جاء فيه أيضا

إن قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا

فقال له رسول الله نصرت ياعمرو ، فكان ذلك مما هاج فتح مكة

ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على النبى فأخبروه بما أصيب منهم وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة فلقيهم أبو سفيان بعسفان قد بعثته قريش الى الرسول ليشد العقد ويزيد فى المدة ، وقد رهبوا الذى صنعوا فقال لبديل : من أين أقبلت أو ماجئت محمدا ؟ فلم يصدقه فلما راح بديل الى مكة التمس أبو سفيان مبرك راحلة بديل فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فعلم أنه جاء محمدا صلى الله عليه وسلم ، فسار حتى قدم المدينة على ابنته

أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش النبى طوته عنه فقال لها: أرغبت بى عن هذا الفراش ، أم رغبت به عنى ؟ قالت : هو فراش النبى وأنت رجل مشرك نجس ، قال والله لقد أصابك بعدى يابنية شر ، وخرج حتى أتى النبى فكلمه فلم يرد عليه شيئا ، فذهب الى أبى بكر ليكون وسيطا فرفض وجاء عمر فقال له : والله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به فدخل علي على وعنده فاطمة وعندها الحسن يدب بين يديها فقال لعلى: اشفع لى الى رسول الله ، فقال لقد عزم رسول الله على أمر مانستطيع أن نكلمه فيه ، فالتفت الى فاطمة وطلب اليها أن تأمر ابنها فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر ، قالت : والله مابلغ بنى ذاك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله ، فعاد الى على حائرا يطلب النصيحة ، فقال : والله ماأعرف شيئا يغنى عنك شيئا ، ولكنك سيد بنى كنانة فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك — قال أو ترى ذلك مغنيا عنى شيئا ؟ قال لا والله ولكني لاأجد لك غير ذلك. فقام أبو سفيان فى المسجد فقال . أيها الناس انى قد اجرت بين الناس ، ثم ركب بعيره فانطلق ، فلما قدم على قريش قالوا ماوراءك ؟ قال جئت محمدا فكلمته فوالله مارد علىّ شيئا ، ثم جئت ابن أبى قحافة فلم أجد فيه خيرا ، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى العدو ، ثم أتيت عليا فوجدته ألين القوم وقد أشار على بشىء صنعته فوالله ماأدري هل يغني ذلك شيئا ، قالوا وبم أمرك ؟ قال أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت، قالوا فهل جاز ذلك محمد ؟ قال لا ، قالوا ويلك ! والله أن زاد الرجل على أن لعب بك فما يغنى عنك ماقلت ، قال.. والله ماوجدت غير ذلك .

وأمر رسول الله الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه ، وأعلم الناس أنه سائر الى مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ ، وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها ، فتجهز الناس .

ولما أجمع الرسول المسير الى مكة كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه النبى ، وأعطاه امرأة من مزينة وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشا فجعلته فى رأسها ثم فتلت عليه قرونها وخرجت به ، وعلم رسول الله بما صنع حاطب فبعث عليا والزبير فأدركا المرأة وهددها على فاستخرجت الكتاب فدفعته اليه . ولما عاد على وصاحبه دعا النبى حاطبا فسأله فاعتذر عن فعلته بانه أراد أن يصانع قريشا لان له بين أظهرهم ولد ، فطلب عمر وأن يضرب عنقه ، فلم يجبه النبى لأن حاطبا من أصحاب بدر .

ثم مضى رسول الله لسفره اذ خرج لعشر مضين من رمضان فصام وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد بين عسفان وامج أفطر

فلما نزل النبي مر الظهران وقد عميت الأخبار عن قريش، خرج فى احدى الليالى أبو سفيان ومعه بديل بن ورقاء وحكيم بن حزام يتجسسون الأخبار ، وكان العباس قد لقي النبى ببعض الطريق فعاد معه ، ودخل على النبي أيضا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة فالتمسا الدخول عليه فرفض ثم رق وأذن لهما فدخلا عليه وأسلما ثم ان العباس قال فى نفسه : والله لئن دخل النبى مكة عنوة انه لهلاك قريش الى آخر الدهر ، فجلس على بغلة رسول الله وقال أخرج لعلى أرى حطابا أو رجلا يدخل مكة فيخبرهم

بمكان النبي فيأتونه ويستأمنونه، فبينا هو يسير اذ سمع صوت أبي سفيان ومن معه، وأبو سفيان يقول ما رأيت كالليلة نيرانا قط، ولا عسكرا، فيقول بديل هذه والله خزاعة، فيقول أبو سفيان، خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها — فلما عرف العباس صوت أبي سفيان ناداه يا أبا حنظله فعرف صوت العباس وقال: أبو الفضل، قال العباس نعم، قال مالك فداك أبي وأمي؟ قال العباس: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله في الناس، أتاكم بعشرة قال فما الحيلة؟ قال والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك النبي فأستأمنه لك، فركب وخرج العباس به ورجع صاحباه، وكلما مر بنار من نيران المسلمين يقولون عم رسول الله على بغلة رسول الله حتى مرا بنار عمر فقال: أبو سفيان؟ عدو الله؟ الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم اشتد نحو النبي وركضت البغلة فسبقت عمر، ودخل عمر على النبي فأخبره وسأله أن يضرب عنقه فقال العباس قد أجرته، فلما أكثر عمر في شأنه قال له العباس: مهلا يا عمر، فوالله لو كان من رجال بني عدي ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من بني عبد مناف، فقال عمر: مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت، كان أحب الي من اسلام الخطاب لو أسلم، فقال النبي قد أمناه حتى تغدو به بالغداة، فرجع به العباس ثم غدا به على النبي فلما رآه قال ويحك يا ابا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله، قال: بلى بأبي أنت وأمي، لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئا، قال ويحك! ألم يأن لك أني رسول الله؟ قال: أما هذه ففي النفس منها شيء، فقال له العباس

ويحك اشهد شهادة الحق قبل أن تضرب عنقك ! فتشهد وأسلم ، ويقال أسلم معه صاحباه ، فقال العباس يارسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له ذكرا ، فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهب لينصرف قال النبي للعباس احبسه عندك حتى تمر عليه جنود الله ، فحبسه حتى مرت القبائل براياتها ، وهو يسأل عنها واحدة واحدة حتى مرت الخضراء وهي كتيبة رسول الله ، وفيها الأنصار والمهاجرون لا يرى منها الا الحدق من الحديد ، فسأل العباس عنها فأخبره فقال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما ، فقال له : يا أباسفيان انها النبوة فقال نعم إذاً ، ثم قال له ألحق بقومك ، فجاء فصرخ يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، قالوا فما قال ؟ قال من دخل دارى فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، يامعشر قريش أسلموا تسلموا ، فأقبلت امرأته هند بنت عتبة فأخذت بلحيته وقالت : يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الأحمق فقال : أرسلى لحيتى وأقسم لئن لم تسلمى أنت لتضربن عنقك ، أدخلى بيتك ، فتركته

وتقدم رسول الله حتى نزل بذى طوى ومن هنالك فرق جيشه ، فأمر الزبير أن يدخل في بعض الناس من كداء بشمالا وأمر سعد بن عبادة ان يدخل ببعض الناس من كُدى (بالشمال الشرقي) فقال سعد اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة ، فسمعها أحد المهاجرين فأخبر النبي فقال لعلى

أدركه وخذ الراية منه فكن أنت الذي تدخل بها ـ وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أسفل مكة ، ودخل رسول الله مكة من أذاخر بأعلى مكة

وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهل بن عمرو قد جمعوا ناسا بالخندمة (شرقا) ليقاتلوا ـ فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد ناوشوهم شيئا من قتال ، وقتل المسلمون منهم اثنى عشر رجلا فانهزموا ، وأقبل خالد بالمسلمين فقام في وجههم النساء المشركات بلطمن وجوه الخيل بالخمر ، وكان النبي قد أمر أمراءه الا يقتلوا أحدا الا من قاتلهم الا أنه قد عهد في نفر سماهم ، أمر بقتلهم وان وجدوا تحت أستار الكعبة ، وكانوا ثمانية رجال وأربع نسوة

ودخل الرسول وجنده مكة آمنا فلما اطمأن الناس خرج فطاف بالبيت سبعا على راحلته ، ثم دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ودخلها فوجد بها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس في المسجد فهلل وكبر وذكر الله كثيرا ثم قال ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدّعى فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج ، ثم قال يامعشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم ؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ، قال اذهبوا فأنتم الطلقاء ـ ثم جلس للبيعة على الصفا وعمر بن الخطاب تحته واجتمع الناس لبيعة النبي على الاسلام فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ، فلما فرغ من الرجال بايع النساء

وقد أمر رسول الله بطمس الصور التي على جدران الكعبة وتحطيم الأصنام التي حولها ، وكان ممن الذين هدر دماءهم رسول الله

(١) عكرمة بن أبي جهل ، وكان يشبه أباه في ايذاء رسول الله وعداوته والانفاق على محاربته فلما كان الفتح هرب الى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحرث فاستأمنت له وخرجت في طلبه فأدركته يريد ركوب البحر ، فذكرت اليه أن النبي أمنه فعاد معها وأسلم

(٢) صفوان بن أمية بن خلف ، وكان أيضا شديدا على الرسول ، ثم فر الى جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحي يانبي الله ان صفوان سيد قومه وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه في البحر ، فقال هو آمن ، قال عمير فاعطني آية يعرف بها أمانك فأعطاه النبي عمامته التي دخل بها مكة فأدركه عمير وطمأنه فرجع ، فلما وقف على رسول الله قال له ان هذا يزعم أنك أمنتني ، قال صدق ، قال فاجعلني فيه بالخيار شهرين ، قال أنت بالخيار فيه أربعة أشهر فأقام معه كافرا ، وشهد معه حنينا والطائف ثم أسلم وحسن اسلامه

(٣) عبد الله بن سعد بن أبي سرح من بني عامر بن لؤي ، وكان قد أسلم وكتب الوحي الى النبي فكان اذا أملى عليه (عزيز حكيم) يكتب (عليم حكيم) وأشباه ذلك ، ثم ارتد وقال لقريش انى كنت أصرّف محمدا في قرآنه ودينكم خير من دينه ـ فلما كان الفتح فر الى عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة ، فغيبه عثمان حتى اطمأن الناس وأحضره عند النبي وطلب له الأمان ، فصمت الرسول طويلا ثم أمنه فأسلم وعاد ، فلما انصرف قال النبي لأصحابه لقد صمتّ ليقتله أحدكم فقالوا : هلا أومأت فقال ما كان للنبي أن يقتل بالاشاره ان الأنبياء لا يكون لهم خائنة الأعين .

(٤) وحشى بن حرب قاتل حمزة هرب يوم الفتح الى الطائف ثم وفد في أهله على رسول الله مسلما

(٥) عبد الله بن الزبعرى السهمى وكان يهجو رسول الله بمكة ويعظم القول فيه فهرب يوم الفتح الى نجران ثم عاد الى رسول الله معتذرا فقبل عذره وأسلم

ومن النساء هند بنت عتبة أمر رسول الله بقتلها لفعلها فى حمزة ، ولأنها كانت تؤذى رسول الله بمكة ، جاءت اليه مع النساء متنكرة فأسلمت وكسرت كل صنم فى بيتها وأهدت الى رسول الله جديين واعتذرت من قلة ولادة غنمها فدعا لها بالبركة فيها فكثرت

وكان من حديثها عند وفودها على النبي فى نسوة من قومها أنه قال لهن أتبايعنى على الا تشركن بالله شيئا فقالت هند : انك والله لتأخذ علينا مالا تأخذه على الرجال فسنؤتيكه ، قال ولا تسرقن ، فقالت : والله ان كنت لأصيب من مال أبى سفيان الهنة والهنة ،فقال أبو سفيان وكان حاضرا ، أما ما مضي فأنت منه فى حل ، فقال النبي أهند ؟ قالت: أنا هند فأعف عما سلف عفا الله عنك، فقال : ولا تزنين، قالت وهل تزنى الحرة ؟ قال ولا تقتلن أولادكن ، قالت ربيناهم صغارا وقتلتهم يوم بدر كبارا فأنت وهم أعلم، قال ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن قالت : والله إن إتيان البهتان لقبيح ، وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ، قال ولا تعصينني فى معروف ، فقالت: ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك، فقال النبى لعمر بايعهن، واستغفر لهن

غزو بنى جذيمة

ولما تم فتح مكة بعث النبى سراياه حول مكة يدعو الى الله ولم يأمرهم بقتال وكان ممن بعثهم خالد بن الوليد ، فوطىء بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة من كنانة ، وكانت جذيمة قد أصابت في الجاهلية عوفا أباعبد الرحمن ابن عوف ، والفاكه بن المغيرة عم خالد ، فلما رأى خالدا القوم أخذوا السلاح ، فقال لهم ضعوا السلاح فان الناس قد أسلموا ، فأمرهم خالد فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل منهم من قتل ، فلما انتهى الخبر الى النبى رفع يديه الى السماء ، ثم قال اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد ، ثم أرسل عليا وأمره أن ينظر فى أمرهم فودى لهم الدماء والاموال ، حتى أنه ليدى ميلغة الكلب ، وبقى معه من المال فضلة ، فقال لهم على هل بقى لكم مال أودم لم يود ؟ قالوا لا ، قال فانى أعطيكم هذه البقية احتياطا لرسول الله ، ثم رجع فأخبر النبى فقال أصبت وأحسنت

أما خالد فاعتذر بأن عبد الله بن حذافة أمره بذلك عن رسول الله لامتناعهم عن الاسلام وكان بين عبد الرحمن بن عوف وخالد مشاحة فى الامر اذ قال له عملت بأمر الجاهلية فى الاسلام ، فقال خالد : انما ثأرت بأبيك ، فقال عبد الرحمن كذبت ، قد قتلت أنا قاتل أبى ولكنك ثأرت بعمك الفاكه ، حتى كان بينهما شر ، فنهى رسول الله خالدا عن الصحابة وانتهى بذلك الأمر ، وأرسل رسول الله خالدا لهدم العزى بنخلة وكانت بيتا يعظمه هذا الحى من قريش وكنانة ومضر كلها وكان سدنتها وحجابها بنى شيبان من بنى سليم خلفاء بنى هاشم فلما انتهى اليها

هدمها ورجع الى النبى - ولو لم يكن راضيا عنه معتقدا صحة ما ذهب اليه ما أرسله فى هذا الوجه ولا في غيره .

هذا وقد قام النبي بعد فتح مكة سنة ثمان خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة .

غزوة حنين

كانت هذه الغزة سنة ثمان بعد فتح مكة وتسمي أوطاس ، بالموضع الذى كانت فيه شرقى مكة - وبيانها أنه لما سمعت هوازن بالنبي وما فتح الله عليه من مكة جمعها مالك بن عوف النصرى فاجتمع اليه مع هوازن ثقيف كلها ، ولم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب . وكان فى بنى جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس له شيء الا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخا مجربا .

ولما أجمع مالك السير الى النبي خط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم فأنكر عليه دريد وقال أين مالك ؟ قيل هذا مالك ، فقال له : يامالك انك قد أصبحت رئيس قومك ، وان هذا يوم كائن له مابعده من الايام ، مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويُعار الشاء ؟ قال سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وقال ليقاتل عنهم ، فقال في سخط : وهل يرد المنهزم شيء ! إنها ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك : ثم نصحه فلم ينفع فيه النصح ، وقال والله لا أفعل ذلك انك قد كبرت وكبر عقلك ، وهدد هوازن بأن ينتحر

اذا لم يطيعوه ، كره أن يكون لدريد فيها ذكر فقالوا أطعناك

فلما سمع النبى أرسل اليهم من يجيئه بخبرهم فعاد اليه بأنهم اجتمعوا له فأجمع المسير اليهم ، وذكر له أن عند صفوان بن أمية أدرعا وسلاحا ، وهو يومئذ مشرك فاستعارها منه النبى فأعاره مائة درع بما يكفيها من السلاح ، وطلب منه أن يكفيهم حملها ففعل ـ وخرج النبى ومعه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من الصحابة ومضى يريد لقاء هوازن ـ قال جابر بن عبد الله : فلما استقبلنا وادى حنين انحدرنا فى واد من أودية تهامة أجوف ذي خطوط انما ننحدر فيه انحدارا ، وكان فى عماية الصبح ، وكان القوم قد سبقونا الى الوادى فكمنوا لنا فى شعابه واحنائه ومضايقه ، وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا ، فوالله ماراعنا ونحن منحطون الا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد ، وانشمر الناس راجعين لايلوى أحد الى أحد ، وانحاز النبى ذات اليمين ثم قال أين أيها الناس ، هلموا الى ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله ـ فلا شىء ، حملت الابل بعضها على بعض فانطلق الناس الا أنه قد بقي مع النبى نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ....

فلما انهزم الناس ورأى من كان معه من جفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان : لاتنتهى هزيمتهم دون البحر ـ وصرخ جبلة أخو صفوان بن أمية لأمه وهو مشرك : ألا بطل السحر اليوم ، فانتهره صفوان وشتمه .

وأراد أحد بني عبد الدار قتل النبى فى هذه الفرصة أخذا بثأر أبيه الذى قتل يوم أحد فلم يطق ، ويقال أن النبى حين فصل من مكة

ورأي كثرة من معه قال : لن نغلب اليوم من قلة ، ويقال أن الذي قالها رجل من بني بكر .

فلما رأى النبي أن الناس لم يعودوا قال ياعباس اصرخ يامعشر الانصار يامعشر أصحاب السمرة ، فأجابوا لبيك لبيك ، فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيله فيؤم الصوت حتى ينتهي الى النبي فلما اجتمع له منهم مائة استبسلوا وقاتلوا القوم ورسول الله ينظر الى مجتلد القوم وهم مجتلدون فقال الآن حمي الوطيس (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) فما هو الا أن هزم الله المشركين وأمكن رسول الله منهم

ورب قائل ماشأن هذه الاغاثة من الله (ولو شاء الله لانتصر منهم) والداعي الى هذه النماء التي تراق والجواب يتبين من قوله تعالى (ولكن ليبلو بعضكم ببعض) وقوله في آية أخرى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) وكفى .

وكانت راية أحلاف هوازن مع قارب بن الاسود فلما انهزموا أسندها الى شجرة وهرب هو وبنو عمه وقومه فلم يقتل منهم الا رجلين يقال لأحدهما الجلاح فقال النبي حين بلغه قتله ، اليوم قتل سيد شباب ثقيف الا ما كان من ابن هنيده وهو الحرث بن أويس

ولما انهزم المشركون في حنين أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف ومعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة ، فتبعت خيل النبي من

سلك في نخلة ، وأدرك دريد بن الصمة وقتل قتله أحد بني سليم

ثم بعث النبي في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الاشعري فادرك من الناس بعض من انهزم فناوشوه القتال فقتل أبو عامر فاخذ الراية ابن عمه أبو موسى الاشعري فقاتلهم ففتح الله على يديه وهزمهم

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة فوقف في فوارس من قومه على ثنية الطريق وقال لأصحابه قفوا حتى تمضى ضعفاؤكم ويلحق أخراكم فانتهى الزبير بن العوام الى أصل الثنية فصمد لهم فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها

ومر النبي بامرأة قد قتلها خالد بن الوليد فقال لبعض من معه : أدرك خالدا فقل له ان رسول الله ينهاك ان تقتل وليدا او امرأة أو عسيفا

وسمى رجل من بني سعد بن بكر فساقه الناس في أهله وساقوا معه الشيماء بنت الحرث بن عبد العزي أخت النبي من الرضاع فعرفتهم هذه الصلة فلم يصدقوها حتى أتوا بها النبي فقالت له انى أختك من الرضاعه وأرته علامة صدقها ، فبسط لها النبي رداءه وأجلسها عليه وخيرها وقال : ان أحببت فعندي محببة مكرمة ، وان أحببت ان امتعك وترجعي الى قومك فعلت ، قالت بل تمتعني وتردني الى قومي ، فمتعها وردها الى قومها

ثم جمعت الى رسول الله سبايا حنين وأموالها فامر بها الى الجعرانية فحبست بها

غزوة الطائف

لما قدم فل ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال ولم يشهد حنينا ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة ، كان بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور ، فالدبابة من آلة الحرب يدخل فيها الرجال فيدبون الى الاسوار لينقبوها ، والضبور مثل رءوس الاسفاط يتقى بها فى الحرب عند الانصراف ، والجوانيق معروفة وهي كالجوالق يرمي بما يكون فيها من حجارة أو نفط

وسار رسول الله الى ثقيف بالطائف وأمر بحصن مالك بن عوف فهدمه ثم مضى حتى نزل قريبا من الطائف فضرب بها عسكره ، فقتل ناس من أصحابه بالنبل لقرب العسكر من حائط الطائف ولم يقدر المسلمون على اقتحام الحائط عليهم لأنهم أغلقوه دونهم ورموهم فتباعد النبي بالعسكر قليلا وحاصر أهل الطائف بضعا وعشرين ليلة ـ ورماهم بالمنجنيق ، ودخل نفر من الصحابة تحت دبابة ثم زحفوا بها الى جدار الطائف ليخرقوه فأرسلت عليهم ثقيف سكك محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا ـ فأمر النبى بقطع أعناب ثقيف فوقع الناس فيها يقطعون

وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة الى الطائف فناديا ثقيفا أن آمنونا حتى نكلمكم فآمنوهما وأرادوا ارسال نساء من قريش وكنانة ليخرجن اليهما فأبين ومنهن آمنة بنت أبى سفيان وكانت عند

عروة بن مسعود

فكلمها الأسود بن مسعود في أموال بنيه وقال لهما أن مال بني الاسود بن مسعود حيث قد علمتما (وكان النبي بوادي العقيق بين المال وبين الطائف) انه ليس بالطائف مال أبعد رشاء ولا أشد مئونة ولا أبعد عمارة من مال بني الاسود وان محمدا ان قطعه لم يعمر أبدا ، فكلماه فليأخذه لنفسه أو ليدعه لله والرحم فإن بيننا وبينه من القرابة مالا يجهل ، فتركه لهم .

ثم جاء رسول الله الوحى من السماء بالانصراف عن الطائف بعد حكاية لابأس بسردها وهى ، أن خويلة بنت حكيم بن أمية السلمية امرأة عثمان بن مظعون قالت: يارسول الله أعطنى ان فتح الله عليك حلى بادية بنت غيلان الثقفى أو الفارعة بنت عقيل وكانتا من أحلى نساء ثقيف فقال لها : وان كان لم يؤذن لى فى ثقيف ياخويلة فخرجت فذكرت ذلك لعمر فدخل فسأل رسول الله عما تقوله خويلة ، فقال قد قلته قال أوما أذن لك فيهم ، قال : لا ، قال: أفلا أؤذن فى الرحيل ، قال: بلى ، فأذن عمر بالرحيل فرحل الناس مع النبي بعد القتال والحصار الى الجعرانة ـ وقال له رجل من أصحابه يوم ظعن : يارسول الله ادع عليهم فقال صلى الله عليه وسلم : « اللهم اهد ثقيفا وائت بهم »

أموال هوازن وسباياها

لما نزل النبي الجعرانة فيمن معه من الناس ومعه من هوازن سبى كثير ، ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الابل والشاء ما لايدرى

ما عدته ، فجاءه وفد هوازن وقد أسلموا ، فقالوا يارسول الله : انا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامنن علينا مَنَّ الله عليك ، ثم قام رجل منهم فقال يارسول الله انما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك ، ولو أنا ملحنا [1] للحرث بن أبى شمر أوللنعمان بن المنذر ثم نزل بنا بمثل الذي نزلت به رجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين

فقال لهم النبى : أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم ؟ فقالوا بل ترد أبناءنا ونساءنا فهو أحب الينا ، فقال لهم : أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، واذا ما أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا : أنا نستشفع برسول الله الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم ففعلوا فتنازل رسول الله عما له ولبني عبد المطلب فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ، وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ، فقال الاقرع بن حابس أما أنا وبنو تميم فلا ، وقال عيينة بن حصن وبنو فزارة فلا ، وقال عباس بن مرداس أما أنا وبنو سليم فلا ، فقال بنو سُليم بلى ، ما كان لنا فهو لرسول الله فقال عباس وهنتمونى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل انسان ست فرائض من أول سبى أصيبه ، فردوا الى الناس أبناءهم ونساءهم ففعلوا حتى عيينة بن حصن . وقال النبى لوفد هوازن وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل فقالوا هو بالطائف مع ثقيف ، فقال أخبروه أنه إن أتانى مسلما رددت اليه أهله وماله وأعطيته

---

(١) الملاح ككتاب والملاحة : الرضاع والمراضعة

مائة من الابل فأتى من الطائف وقد خاف من ثقيف أن يحبسوه اذا علموا أن النبى قال فى شأنهما قال فخرج ليلا على فرسه وأدرك رسول الله بالجعرانة فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الابل وأسلم تحسن اسلامه

ولما فرغ النبى من رد سبايا حنين الى أهلها ركب واتبعه الناس يقولون يارسول الله اقسم علينا فيئنا من الابل والغنم ، فما زالوا به حتى رضى فأعطى المؤلفة قلوبهم وكانوا أشرافا من أشراف الناس يتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير وكذلك الحرث بن كلدة من بنى عبد الدار والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس ومالك بن عوف وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن ، ثم أعطى آخرين دون المائة ، وأعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها وعاتب النبى فيها بقصيدة فقال رسول الله : أذهبوا به فاقطعوا عنى لسانه فاعطوه حتى رضى فكان ذلك قطع لسانه الذى أمر به رسول الله

وقال قائل للنبى : أعطيت عيينة والاقرع مائه وتركت جعيل بن سراقة الضمرى ، فقال تألفتهما ليسلما ووكلت جعيل بن سراقة الى اسلامه

وجاء ذو الخويصرة التميمى فوقف على النبي وهو يعطى الناس فقال لم أرك عدلت فغضب النبى واستأذن عمر فى قتله فنهاه النبى وقال دعه فانه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية فظهر صدق هذا الحديث فى الخوارج فكان بدؤهم من ذي الخويصرة

ولما أعطى الرسول ماأعطى فى قريش وقبائل العرب ولم يعط الأنصار شيئا قال حسان من قصيدة يعاتبه فيها

علام تزعي سليم وهي نازحة ... قدام قوم هم آووا وهم نصروا

سماهم الله أنصارا بنصرهم ... دين الهدى وعوان الحرب تستعر

ووجد الانصار فى أنفسهم حتى كثرت منهم القاله وقال قائلهم: لقي والله رسول الله قومه

ودخل عليه سعد بن عبادة فقال: يارسول الله ان هذا الحي من الانصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذى أصبت، قال فاين أنت من ذلك ياسعد؟ قال يارسول الله ماأنا الا من قومي، قال فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة، فأتاهم رسول الله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يامعشر الانصار ماقالة بلغتنى عنكم، وجدة وجدتموها علىّ في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة فاغناكم الله، واعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بل الله ورسوله أمن وأفضل، قال الا تجيبونى يامعشر الانصار قالوا بماذا نجيبك يارسول الله؟ قال: أم والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فآسيناك، أوجدتم يامعشر الانصار فى أنفسكم فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم الى اسلامكم؟ الا ترضون يامعشر الانصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم؟ فو الذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا

وانصرف رسول الله من الجعرانة معتمرا وأمر بحبس الفيء بناحية مر الظهران حتى أتم عمرته وخرج راجعا الى المدينة واستخلف على مكة عتاب بن أسيد وجعل رزقه كل يوم درهما فخطب فى الناس فقال : أجاع الله كبد من جاع على درهم ، فقدر رزقنى رسول الله درهما كل يوم فليست بى حاجة الى أحد

وقدم رسول الله المدينة لست بقين من ذى القعدة وأقام أهل الطائف على شركهم وأمتناعهم فى طائفهم الى شهر رمضان من سنة تسع

اسلام كعب بن زهير

لما قدم النبى من الطائف كتب بجير بن زهير الى أخيه كعب يخبره أن الرسول قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه وان من بقى من شعراء قريش قد هربوا فى كل وجه ، فان كانت لك فى نفسك حاجة فطر الى رسول الله فانه لايقتل أحدا جاءه تائبا ، وان أنت لم تفعل فانج الى نجائك من الأرض ، فكتب كعب الى أخيه يؤنبه على اتباعه النبى فلم يعتم بجير أن أخبر النبى وكتب الى كعب قصيدته التى منها

من مبلغ كعبا فهل لك فى التى ... تلوم عليها باطلا وهى أحزم

الى الله لا العزي ولا اللات وحده ... فتنجو اذا كان النجاء وتسلم

فاما وصل كتاب بجير الى كعب ضاقت به الارض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان فى حاضره من عدوه فقالوا هو مقتول فلما لم يجد بدا قال قصيدته بانت سعاد وخرج حتى قدم المدينة فنزل على

رجل من جهينة كانت بينه وبينه معرفة فغدا به الى رسول الله حين صلى رسول الله الصبح فصلى معه ثم أشار له الى الرسول وقال : قم اليه فاستأمنه ، فقام فوضع يده فى يد النبى فقال يارسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به فقال رسول الله نعم ، فقال أنا يارسول الله كعب بن زهير فوثب عليه رجل من الانصار وقال : يارسول الله دعنى وعدو الله أضرب عنقه فقال رسول دعه عنك فانه قد جاء تائبا نازعا عما كان عليه ـ فغضب كعب على هذا الحى من الأنصار لما صنع به صاحبهم وذلك انه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين الا بخير

وقال قصيدته بعد قدومه على رسول الله المدينة وخص فيها المهاجرين بمدحته فغضبت الانصار فقال بعد أن أسلم فيهم قصيدته التى أولها

من سره كرم الحياة فلا يزل ... فى مقنب من صالحى الأنصار

ورثوا المكارم كابرا عن كابر ... أن الخيار هم بنو الأخيار

يمدحهم ويذكر بلاءهم مع رسول الله وموضعهم من اليمن

غزوة تبوك

كانت غزوة تبوك سنة تسع ، وبيانها أن رسول الله أقام بالمدينة بعد عودته من الطائف الى رجب ، ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمن عسرة من الناس وشدة من الحر ، وجدب من البلاد ، وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه ـ وكان رسول الله قلما يخرج في

غزوة الا كنى عنها وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد اليه الا ماكان من غزوة تبوك فانه بينها للناس ، لبعد الشقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذي يصمد اليه ليتأهب الناس لذلك أهبته

فأمر الناس بالجهاز وأخبرهم انه يريد الروم وأخذ يستعد وقال للجد بن قيس: هل لك العام فى جلاد بنى الاصفر، فقال يارسول الله ائذن لى ولاتفتنى، يريد أن يتخلف لئلا يفتتن بنساء الروم وليس ذلك به — وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لاتنفروا في الحر

وبلغ النبى أن قوما من المنافقين يجتمعون فى بيت أحد اليهود يثبطون الناس، فأمر بأن يُحرق عليهم ، ثم جد النبى فى سفره وأمر الناس بالجهاز ، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا ، وانفق عثمان بن عفان فى ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها

وجاء سبعة نفر من الانصار وغيرهم وهم البكاءون وكانوا أهل حاجة فاستحملوا فقال لهم: لاأجد ما أحملكم عليه ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون .

ثم جاءه المعذرون من الاعراب فاعتذروا فلم يعذرهم الله تعالى ، وهم من بنى غفار ثم استتب برسول الله سفره وأجمع السير ، وأبطأت بجماعة من أصحابه نيتهم فتخلفوا من غير شك ولا ارتياب، وكانوا نفر صدق لايتهمون في اسلامهم ؛ أما النبى فخرج وعسكر فى ثنية الوداع

وخرج مع النبى عبد الله بن أبى فى عسكر منفردا ، ولم يك أقل العسكرين فلما سار رسول الله تخلف عنه في المنافقين وأهل الريب

أما علي بن أبى طالب فقد تخلف بأمر النبي على أهله فأرجف به المنافقون ،وقالوا ماخلفه الا استثقالاله وتخففا منه ، فسارع الى رسول الله وأخبره بما يقول المنافقون في شأنه، فقال له :ارجع فاخلفنى في أهلى وأهلك ، أفلا ترضى ياعلى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى الا أنه لانبى بعدى ؟ فرجع

وسار رسول الله ولحق به فى الطريق وفى تبوك من كان قد أبطأ عن مرافقته من أصحابه المخلصين ، ونهى النبى أصحابه عن ان يشربوا من مياه الحجر أو يتوضئوا منه للصلاة ، وان عجنوا بما ئها فليجعلوه علفا للماشية ، وربما كان ذلك منه لأن ماء الحجر يطول مكثه في عيونه فهو آسن موبوء

ثم نهاهم أن يدخلوا بيوت هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم الا وهم باكون لئلا يصيبهم مثل ما أصابهم ، ومضى رسول الله فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون له تخلف فلان فيقول : دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل : يارسول الله قد تخلف أبو ذر وأبطأ بعيره ، وكان أبو ذر لما أبطأ عليه بعيره أخذ متاعه فحمله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر الرسول ماشيا ، ونزل رسول الله في بعض منازله ، فنظر ناظر من المسلمين فقال يارسول الله ان هذا الرجل يمشى على الطريق وحده ... فلما تأمله القوم قالوا : يارسول الله هو والله أبوذر فقال : رحم الله أباذر يمشى وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده،

ثم انتهى رسول الله الى تبوك فأتى يحنة بن رؤبة صاحب أيلة فصالحه على الجزية . وكتب لهم كتابا ، ويظهر أن تبوك كانت من توابع أيلة وكذلك صالحه أهل جرباء وأذرخ

أكيدر دومة الجندل

ثم أرسل رسول الله خالد بن الوليد الى اكيدر دومة الجندل ، وهو رجل من كندة كان ملكا عليها هو وآخر ، وكان نصرانيا ، فلقيه خالد في خيل النبي ومعه أخاه خالد بن حسان في نفر من أهل بيته قد خرجوا لصيد البقر ، فأخذوه وقتلوا أخاه ، وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب فاستلبه خالد فبعث به الى النبي قبل قدومه باكيدر عليه ، فلما قدم خالد به على الرسول حقن له دمه وصالحه على الجزية ثم خلى سبيله فرجع الى قريته ثم نقض بعد وفاة رسول الله ، فكان له شأن مع خالد وعياض ابن غنم عند فتح العراق

ثم أقام رسول الله بتبوك بضع عشرة ليله وانصرف الى المدينة

مسجد الضرار

ولما نزل رسول الله بذي أوان وهي بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحاب المسجد قد أتوه وهو يجهز الى تبوك فقالوا بنينا مسجدا لذي العلة والليلة المطيرة ، وانا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه فقال اني على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه

فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد فقال الى اثنين من أصحابه

انطلقا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه ففعلا، ونزل فيه قوله تعالى

« والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون »

بقية حديث تبوك

ولما عاد رسول الله وكان قد تخلف عنه رهط من المنافقين، وتخلف عنه ثلاثة رهط من المسلمين من غير شك ولا نفاق فصفح عن المنافقين وقال لأصحابه: لا تكلمن أحدا من هؤلاء الثلاثة، فاعتزلهم المسلمون، وتغيروا لهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وظنوا ألا ملجأ من الله الا اليه، وقد ظلوا فى ذلك خمسين ليلة حتى آذن رسول الله للناس بتوبة الله عليهم وذهب الناس يبشرونهم

امر ثقيف واسلامها

وقدم النبي من تبوك فى رمضان، وقدم عليه فى ذلك الشهر وفد ثقيف،

وكان من حديثهم أن رسول الله لما انصرف عنهم اتبع أثره عروة ابن مسعود قبل أن يصل المدينة فأسلم وسأله أن يرجع الى قومه بالاسلام فقال له: انهم قاتلوك. إذ عرف أن فيهم نخوة الامتناع الذي كان منهم، فقال عروة: انا أحب اليهم من أبكارهم، وكان فيهم محببا مطاعا، فخرج يدعو قومه الى الاسلام رجاء الايخافوه لمنزلته فيهم، فلما أشرف لهم على

علية له وقد دعاهم الى اسلام وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل من كل وجه فأصابه سهم فقتله ، وقيل لامائري في دمك؟ قال : كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله الى ، فليس فيَّ الا مافي الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله قبل أن يرتحل عنكم فادفنوني معهم فدفنوه معهم

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهرا ثم أنهم ائتمروا بينهم ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا ، وقال بعض ثقيف لبعض : أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب ولا يخرج منكم أحد الا اقتطع ، وأجمعوا أن يرسلوا الى رسول الله رجلا كما أرسلوا عروة فكلموا عبد ياليل بن عمرو ، وكان من سن عروة فأبى وخشي أن يصنع به اذا رجع كما صنع بعروة فقال : لست فاعلا حتى ترسلوا معي رجالا ، فاجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بني مالك فيكونوا ستة ، فخرج بهم عبد ياليل وهو ناب القوم وصاحب أمرهم ، وانما خرج بهم لكي يشغل كل رجل منهم اذ رجعوا الى الطائف رهطه ، فلما دنوا المدنية ونزلوا قناة ألفوا بها المغيرة بن شعبة يرعى في نوبته ركاب رسول الله . فلما رآهم ترك الركاب عندهم ، وأسرع ليبشر النبي بقدومهم عليه ، فلقيه أبو بكر قبل أن يدخل على النبي فأخبره عن ركبهم أن قد قدموا يريدون البيعة والاسلام بأن يشترط لهم الرسول شروطا ويكتبوا منه كتابا في قومهم وبلادهم وأموالهم ، فقال أبو بكر أقسمت عليك بالله لا تسبقني الى النبي حتى أكون أنا أحدثه ، ففعل المغيرة ، ودخل أبو بكر فأخبره بقدومهم عليه ، ثم خرج المغيرة الى أصحابه فروح الظهر معهم ، وعلمهم كيف يحيون الرسول فلم يفعلوا الا بتحية الجاهلية

ولما قدموا على الرسول ضرب عليهم قبة فى ناحية مسجده وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبينه حتى اكتبوا كتابهم وتولى خالد كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند النبى حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم

وقد كانوا سألوا النبى أن يدع لهم الطاغية وهى اللات لا يهدمها ثلاث سنين فأبى ، فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم حتى سألوا شهرا واحدا بعد مقدمهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى ، وانما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يتسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ، ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلها الاسلام فأبى الرسول الا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبه فيهدماها

وقد سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة والا يكسروا أوثانهم بأيديهم فأعفاهم من هذه الأخيرة وقال : أما الصلاة فانه لا خير فى دين لا صلاة فيه ، قالوا فسنؤتيكها وان كانت دناءة

فلما أسلموا وكتب لهم النبى كتابا أمر عليهم عثمان بن أبى العاص من بني مالك وكان من أحدثهم سنا ، ذلك لأنه كان أحرصهم على التفقة فى الاسلام وتعلم القرآن

ولما فرغوا من أمرهم وتوجهوا الى بلادهم بعث النبى معهم أبا سفيان والمغيرة في هدم الطاغية فخرجا حتى اذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان فأبى عليه وقال أدخل أنت على قومك ، فلما دخل المغيرة علاها بفأسها بالمعول ، وقام قومه دونه خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة ، وخرج نساء ثقيف حسرا بيكين

ويروي أن المغيرة قال لأبي سفيان حين هدمها : ألا أضحكك من ثقيف ؟ فقال بلى ، فأخذ المعول وضرب به اللات ثم صاح وخر على وجهه فارتجت الطائف بالصياح ، سرورا بان اللات قد صرعت المغيرة ، وأقبلوا يقولون كيف رأيتها يامغيرة دونكها ان استطعت ؟ فقام المغيرة يضحك ويقول لهم : باخبثاء والله ماقصدت الا الهزأ بكم ، ثم أقبل على هدمها حتى استأصلها ، ثم أخذ مالها وحليها وأرسله الى أبي سفيان

وكان أبو مليح بن عروة وقارب بن الاسود من ثقيف قد قدما على رسول الله بعد قتل عروة يريدان فراق ثقيف ، والا يجاميهم على شيء أبدا فأسلما ، فلما أسلم وفد ثقيف ورجع سأل أبو مليح رسول الله أن يقضي عن أبيه عروة دينا كان عليه من مال الطاغية ، وقال له قارب : وعن الاسود يارسول الله فاقضه ، وعروة والأسود أخوان لأب وأم ، فأمر رسول الله أبا سفيان أن يقضي دينهامن مال الطاغية فقضى عنهما

وبعد ففي قصة اسلام ثقيف عبرة . اذ ترى من خلالها أن أقوى قبائل العرب أصبحت تطلب الاسلام لتحتمي به من اعتداء المعتدين (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل)

انذار المشركين بسورة براءة

وتسمى سورة التوبة والمثيرة والحافرة والفاضحة والمنكلة والمشردة . لانها كشفت من سرائر الناس . كان رسول الله حين قدم من تبوك

لمذكر مخالطة المشركين للناس فى حجهم وتلبيتهم بالشرك وطوافهم عراة بالبيت ، وكانوا يقصدون بذلك أن يطوفوا كما ولدوا بغير الثياب التي أذنبوا فيها وظلموا ، فلبث بقية رمضان وشوال وذا القعدة وأمسك عن الحج فى ذلك العام ، وبعث أبابكر أميرا على الحج ليقيم للمسلمين حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم ، وبسورة براءة لينبذ الذين نكثوا العهود عهودهم ويؤجلهم أربعة أشهر ليسيروا أين شاءوا ، وهم هذا الحى من قريش وبنو الديل من بكر بن وائل الذين دخلوا في عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية ، وليتم العهد لمن لم يكن نقض من بنى بكر الذين دخلوا في عقد قريش فى ذلك اليوم ولم ينقصوا شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه ولم يظاهروا على المسلمين أحدا من أعدائهم ، يتم لهم عهدهم الى تمام المدة ماستقاموا

وكان بين المشركين وبين النبى من العهد ألا يصدوا عن البيت أحدا جاءه وألا يخيفوا أحدا فى الشهر الحرام ، لكنهم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وصدوا عن سبيل بيت الله بحصر الحجاج والعُمَّار ، ولم يرقبوا في مؤمن إلاً ولا ذمة ، فكانوا هم المعتدين ، واستحقوا هذا الانذار الذى يعلن أهل الغدر بالغدر (وجزاء سيئة سيئة مثلها) ، وأهل الوفاء بالوفاء (ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما)

ولما خرج أبو بكر لهذا الغرض أردفه رسول الله بعلى ، فرجع أبوبكر وقال: يارسول الله هل أنزل فى قرآن ؟ قال لا ، ولكن أردت أن يبلغ عنى من هو من أهل بيتي ، وهذا مخصوص بالعهود فان من عادات العرب ألاً يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ، اما الأوامر

والنواحي فقد بعث رسول الله كثيرا ممن ليس من عترته ليؤدي عنه ، وعلى ذلك كان أبو بكر أمير الحج ، وكان على تحت إمرته فى هذا الشأن الخاص ، يدل على ذلك انه لما دنا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال : هذا رغاء ناقة رسول الله ، فلما لحقه ، قال : أمير أم مأمور ؟ قال مأمور ـ ولما كان قبل التروية خطب أبو بكر وحدث الناس عن مناسكهم ، وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة وقال : يأيها الناس انى رسول الله اليكم ، فقالوا بماذا ؟ فقرا عليهم ثلاثين أو أربعين آية ، ثم قال أمرت بأربع : الا يقرب البيت بعد هـذا العام مشرك ، ولايطوف بالبيت عريان ، ولايدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة ، وأن يتم الى كل ذي عهد عهده ، وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل قوم الى مأمنهم أو بلادهم ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة الا أحد كان له عند رسول الله عهد الى مدة فهو له الى مدته ، فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان

وكان المشركون اذا سمعوا النداء ببراءة يقولون لعلى : سترون بعد الأربعة الأشهر أنه لاعهد بيننا وبين ابن عمك الا الطعن والضرب ـ غير أنهم في هذه المدة رغبوا في الاسلام حتى دخلوا فيه طوعا وكرها ـ وحج رسول الله فى العام القابل وحج المسلمون وقـد عاد الدين كله واحدا لله رب العالمين

وهذا هو سر الانذار بهذه السورة المباركة التي هدمت قوي المشركين وردعتهم فرعبوا وأنابوا الى الله اذ علموا الا ملجأ من الله الا اليه

سنـــة الوفود

لما افتتح رسول الله مـكة ، وفرغ من تبوك ، وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت اليه وفود العرب من كل وجه ، وكان ذلك سنة تسع

وانما كانت العرب تربص بالاسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر رسول الله ، وذلك أن قريشا كانوا امام الناس وهاديهم ، وأهل البيت والحرم ، وصريح ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب لاينـكرون ذلك ـ وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله وخلافه ، فلما افتتحت مكة ، ودانت له قريش ودوخها الاسلام ، عرفت فعرب أنه لاطاقة لهم بحرب رسول ولا عداوته ، فدخـلوا فى دين الله أواجا ، يضربون اليه من كل وجه كما بينه الله لنبيه فى سورة الفتح

وفـــد تميم

قدم على النبي عطارد بن حاجب فى أشراف بنى تميم منهم الاقرع ابن حابس ، والزبرقان بن بدر ، وفيهم عيينـة بن حصن الفزاري ، وكان الأخيران قد شهدا مع رسول الله فتح مكة وحنينا والطائف ، فلما قـدموا دخلوا المسـجد ونادوا رسـول الله من وراء حجراته أن أخرج الينا يامحمـد ، فآذى صياحهم النبي فخرج اليهم فقالوا جئناك نفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، قال قد أذنت ، فقام عطارد فقال : الحمد لله الذى لهعلينا الفضل والمن وهو أهله ، الذي جعلنا ملوكا ، ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثرهم

عددا وأيسرهم عدة ، فمن يفاخرنا فليعدد مثل عددنا . ثم جلس فقال رسول الله لثابت بن قيس الخزرجي . قم فأجب الرجل فقام فقال : الحمد لله الذي السموات والارض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يكن شيء قط الا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا ، واصطفى من خير خلقه رسولا فكان خيرة الله تعالى من العالمين

ثم دعا الناس الى الايمان ، فآمن به المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرم الناس نسبا وأحسن الناس وجوها ، وخير الناس فعالا ، ثم كان أول الخلق استجابه لله حين دعاه نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا ، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبدا ، وكان قتله علينا يسيرا ـ

(فما الفرق فى نظرك بين المفاخرتين وأيهما أرجح كفة ؟)

فقام الزبرقان بن بدر فأنشد القصيدة التى أولها

نحن الكرام فلا حى يعادلنا منا الملوك وفينا تصنع البيع

يشير الزبرقان الى أنه كان يصنع له بيت من عمائم وثياب ، وينضح بالزعفران والطيب ، وكانت بنو تميم تحج ذلك البيت . وكان حسان بن ثابت غائبا فدعاه النبي ليجيب شاعرهم فجاء وقال قصيدته التى أولها

ان الذوائب من فهر واخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع

فلما فرغ حسان من شعره قال الاقرع بن حابس : وأبى ان هذا الرجل لمؤتى له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولاصواتهم أحسن من أصواتنا . ثم أسلموا وأجازهم رسول الله فأحسن جوائزهم ، حتى عمرو بن الاهتم الذي خلفوه في رحالهم

وفد بنى عامر

وفد على النبي بنو عامر . وفيهم عامر بن الطفيل الذي قدم وهو يريد الغدر بالنبى ، وقد قال له قومه ياعامر إن الناس قد أسلموا فاسلم قال : والله لقد كنت آليت لا أنتهى حتى تتبع العرب عقبي ، أفأنا أتبع هذا الفتى من قريش ؟ ثم قال لأربد بن قيس : اذا قدمنا على الرجل فانى سأشغل عنك وجهه ، فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف فلما قدموا على النبى قال له عامر : خالنى يامحمد قال : لاحتى تؤمن بالله وحده . قال يا محمد خالنى وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يحير شيئاً ، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال خالني يا محمد فأبى الا على ذلك الشرط فقال : أم والله لاملأنها عليك خيلا جردا ورجالا مردا ولا ربطن بكل نخلة فرسا ـ فلما خرجوا من عند النبى قال عامر لأربد ويلك ! أين ما كنت أمرتك به ؟ فقال : والله ماهممت بقتل محمد الا رأيتك بيني وبينه ، أفاقتلك ؟ فلما كان القوم ببعض الطريق أصاب الطاعون عامرا فقتله . وخرج أصحابه حين واروه حتى قدموا أرض بنى عامر ، فقال القوم : ما ورائك يا أربد ، قال لا شيء ، والله لقد دعانا الى عبادة شيء لوددت أنه عندى الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين فأصابته صاعقة فهلك ، وهو أخو لبيد بن ربيعة الشاعر لأمه

وفد بنى سعد بن بكر

بعث بنو سعد بن بكر الى النبى ضمام بن ثعلبه فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ودخل المسجد ورسول الله جالس فى أصحابه ، فقال أيكم ابن عبدالمطلب ؟ فقال رسول الله أنا ابن عبدالمطلب قال أمحمد ؟ قال نعم فسأله عن شرائع الاسلام وقال سأؤدي هـذه الفرائض وأجتنب ما نهيتنى عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص ، ثم انصرف الى بعيره فاطلق عقاله وقدم على قومه فكان أول ما تكلم به أن قال بئست اللات والعزى ، فقالوا له : اتق البرص، اتق الجذام، اتق الجنون فقال: انها والله لا يضران ولا ينفعان ، ان الله قد بعث رسولا وانزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه ، فما أمسى ذلك اليوم وفى حاضره رجل ولا امرأة الا مسلما به . فما سمع بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة

وفد عبد القيس

قدم على النبى الجارود بن عمرو فى وفد عبد القيس وكان نصرانيا فاسلم وأسلم من معه ، وكان الجارود حسن الاسلام صلبا على دينه حتى هلك ، وكان قد نهى قومه عن الردة بعد موت النبى لما ارتدوا مع المنذر بن النعمان الغرور

وكان النبي قد بعث العلاء بن الحضرمي قبل الفتح الى المنذر بن ساوى العبدى فأسلم وحسن اسلامه ومات بعد وفاة النبي وقبل رده أهل البحرين والعلاء عنده أمير لرسول الله على البحرين

وفد بنى حنيفة

وقدم على النبي وفد بني حنيفة وفيهم مسيلمة الكذاب وكان منزله في دار ابنة الحرث امرأة من الأنصار ، وقد اجتمع برسول الله ثم عاد الى اليمامة وتنبأ وتكذب لهم، وادعى أنه شريك رسول الله فى النبوة، فاتبعه بنو حنيفة وارتدوا

وكان الرحال الحنفى قد قدم فى وفد اليمامة فآمن وتعلم سورا من القرآن ، ثم عاد الى اليمامة فارتد وشهد زورا أن النبى قد شركه معه في النبوة ، ونسب الى مسيلمة بعض ما تعلم من القرآن ، فكان من أقوى أسباب الفتنة على بنى حنيفة ، وقد قتله زيد بن الخطاب يوم اليمامة

وفد طيىء

وقدم وفد طيىء وفيهم زيد الخيل وهو سيدهم فأسلموا وحسن اسلامهم ، وقال رسول الله : ما ذكر لى رجل من العرب بفضل ثم جاءنى الا رأيته دون ما يقال فيه الا ما كان من زيد الخيل فانه لم يبلغ كل ما كان فيه ثم سماه زيد الخير ، وأقطع له فيد وأرضين معها ، فلما رجع أصابته الحمى بقرية من نجد فمات بها

أمر عدى بن حاتم وقدومه

كان عدي بن حاتم يقول ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله حين سمع به منا ، أما أنا فكنت امرأ شريفا وكنت نصرانيا

وكنت أسير في قومي بالمرباع ، فكنت في نفسي على دين وكنت ملكا في قومي لما كان يصنع بي، فلما سمعت برسول الله كرهته ، فقلت لغلام لي أعدد لي من ابلي اجمالا ذلالا فاحتبسها قريبا مني فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذني ففعل ، ثم آتاني ذات غداة فقال ياعدي ما كنت صانعا اذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن فاني قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا هذه جيش محمد فقلت قرب لي اجمالي فقربها فاحتملت باهلي وولدي ثم قلت ألحق باهل ديني النصارى بالشام وخلفت بنتا لحاتم في الحاضر فلما قدمت الشام أقمت بها

وكان رسول الله قد أرسل علي بن أبي طالب في سرية الى ديار طيء وأمره أن يهدم صنمهم فساروا أغار عليهم فغنم وسبي ذكر الصنم وكان متقلدا سيفين فاخذهما على وكان الحرث الفساني قد أهداهما الى الصنم فعلقا عليه، وأسر بنتا لحاتم الطائي وحملت الى رسول الله فأطلقها — وأما اسلام عدي بن حاتم فقال عدي : جاءت خيل رسول الله فأخذوا أختي وناسا فأتو بهم رسول الله فقالت أختي يارسول الله هلك الوالد ، وغاب الوافد، فامنن علي منَّ الله عليك ، فقال ومن وافدك قالت عدي بن حاتم ، قال الذي فر من الله ورسوله فمن عليها والى جانبه رجل قائم وهو على ابن ابي طالب قال سليه حملانا ، فسألته فأمر لها به وكساها وأعطاها نفقة، قال عدي فبينا انا بالشام اذ جاءت اختي واخذت تلومني على تركها وهربي باهلي دونها ثم قالت لي: أرى أن تلحق بمحمد سريعاً فان كان نبيا كان للسابق فضله، وان كان ملكا كنت في عز وأنت . قال فقدمت على رسول الله فسلمت عليه وعرفته نفسي فانطلق بي الى بيته فقابلته

امرأة ضعيفة فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها ، فقلت ما هذا بملك ، ثم دخلت بيته فأجلسني على وسادة وجلس على الارض ، فقلت في نفسي ما هذا ملك ، فقال لي ياعدي انك تأخذ المرباع وهو لا يحل في دينك ، ولعلك انما يمنعك من الاسلام ما ترى من حاجتنا وكثرة عددنا ، والله ليفيضن المال فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ووالله لتسمعن بالمرأة تسير من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف الا الله ، والله لتسمعن بالقصور البيض من بابل وقد فتحت ، قال فاسلمت وقد رأيت القصور البيض وقد فتحت ، ورأيت المرأة تخرج الى البيت لا تخاف الا الله ، والله لتكونن الثالثة ، ليفيضن المال حتى لا يقبله أحد

وفد مراد

وقدم وفد مراد مع فروة بن مسيك المرادي مفارقا لملوك كندة ومباعدا لهم الى رسول الله ، وقد كان قبيل الاسلام بين مراد وهمدان وقعة ظفرت فيها همدان وأكثروا القتلى في مراد في يوم يقال له يوم الرزم

فلما انتهى الى رسول الله قال له يافرو : هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرزم ، قال : يارسول الله من ذا يصب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الرزم لا يسوءه فقال النبي : اما ان ذلك لم يزد قومك في الأسلام الا خيرا واستعمله رسول الله على مراد وزبيد ومذحج كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه الى أن توفي رسول الله

وفد زبيد

وقد وفد زبيد على رسول الله مع عمرو بن معد يكرب فاسلم وعاد من عند النبى فاقام فى قومه من زبيد وعليهم فروة بن مسيك فلما توفى النبى ارتد عمرو — وكان قبل وفوده قد اتفق مع قيس بن مكشوح المرادى (حينما انتهى اليهم أمر النبى) علي أن يذهبا اليه بالحجاز فابى عليه قيس ذلك وسفه رأيه فركب عمرو منفردا حتى قدم على رسول الله فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعده وتحطم عليه ، وقال خالفتني وترك رأيى

وفد كندة

وقدم وفد كندة على النبى مع الأشعث بن قيس ، وكانوا ستين أو ثمانين راكبا ، فقال له الأشعث نحن بنوا آكل المرار وأنت ابن آكل ، فقال النبى لا ، بل نحن بنوا النضر بن كنانه لانقفوا أمنا (أى لانتبعها فى النسب) ولا ننتفى من أبينا

وقدمت فود أخرى كوفد بنى أسد الذين قالوا أتيناك يارسول الله قبل أن ترسل الينا فأنزل الله تعالى (يمنون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا على اسلامكم الآية) —

وكوفد بلى ووفد بهراء ووفد بنى فزارة وكانو بضعة عشر رجلا فيهم خارجة بن حصن — ووفد الأزد مع صرد بن عبد الله الذي أسلم فأمره رسول الله على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من

أهل بيته المشركين فسار الى جرش فقاتلهم كثيرا ثم خرج منهم وفد الى رسول الله فأسلموا ـ ووفد غسان ووفد فروة بن عمرو الجذامي وكان عاملا للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله معان وماحولها من أرض الشام ـ فلما بلغ الروم اسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم ثم ضربوا عنقه وصلبوه ، ووفد همدان ، ووفد رفاعة بن زيد الجذامى الذي أهدى لرسول الله غلاما وأسلم وبعثه رسول الله الى قومه فأجابوه وأسلموا

﴿ وفد نجران ﴾

كان رسول الله قد أرسل خالد بن الوليد الى بنى الحرث بن كعب وأمره أن يدعوهم الى الأسلام قبل أن يقاتلهم فان أجابوا أقام فيهم وعلمهم شرائع الأسلام وان لم يفعلوا قاتلهم ، فلما دعاهم الى الأسلام أجابوا وأسلموا فأقام فيهم وكتب الى رسول الله يعلمه اسلامهم ، وعاد خالد ومعه وفدهم ، ثم عادوا عنه فأمّر عليهم رسول الله بنى الحرث قيس بن الحصين فلم يمكثوا بعد أن قدموا على قومهم الا أربعة أشهر حتى توفى رسول الله

وأما نصارى نجران فانهم أرسلوا السيد والعاقب في نفر الى النبى وأرادوا مباهلته فخرج اليهم ومعه على وفاطمة والحسن والحسين فقالوا هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لازالها ولم يباهلوه وصالحوه على الفى حلة وعلى أن يضيفوا رسل رسول الله ، وجعل لهم ذمة الله وعهد الا يفتنوا عن دينهم ولا يعشروا ، وشرط عليهم ألا يأكلوا

الربا ولا يتعاملوا به ، فلما استخلف أبو بكر عاملهم بذلك فلما استخلف عمر أجلى أهل الكتاب عن الحجاز وأجلى أهل نجران واشترى منهم عقارهم وأموالهم ويقال أن ذلك كان بطلبهم حينما كثروا وتحاسدوا وكان عمر قد خافهم على المسلمين فاغتنمها وأجلاهم فندموا واستقالوه فأبى ولما ولى عثمان أتوه فأبى ولكنه وضع عنهم مائتي حلة

كتاب ملوك حمير

وقدم على النبي كتاب ملوك حمير مقدمه من تبوك ورسلهم اليه باسلامهم ومفارقتهم الشرك فكتب اليهم رسول الله كتابا فيه بيان مايجب عليهم من الفرائض ، وبين لهم أن من كان على يهودية أو نصرانية لايرد عنها وعليه الجزية ، وبعث اليهم معاذبن جبل وأوصاه وعهد اليه وقال : يسر ولا تعسر ، وبشر ولا تنفر

وبعد فانك ترى من سرد هذه الوفود أن جزيرة العرب كلها آوت الى حظيرة الاسلام وأصبح أهلوها على اختلاف أماكنهم ونحلهم يسالمون الله ورسوله والمسلمين ويلقون اليهم بالمودة ، وكل ذلك على أثر فتح مكة واسلام قريش وثقيف ، وقريش أئمة الناس وهداتهم ، وأهل البيت المعمور والحرم المحجوج وصريح ولداسماعيل وقادة العرب يعرفون لهم ذلك ولاينكرونه وكانوا يتربصون بالاسلام أمر هذا الحى من قريش ، وكانوا هم الذين نصبوا الحرب لرسول الله ، فلما دانوا لرسول الله وخضعوا علمت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ، ولا عداوته فأسلموا أو سالموا والله ولى التوفيق يضل من يشاء ويهدى من يشاء .

ظهور مسيلمة والاسود والعنسى

ظهر أمر هذين الكذابين فى عهد رسول الله ، أولهما : كذاب اليمامة في بنى عنيفة ، وثانيهما : كذاب اليمن بصنعاء ، وصلت أخبارهما ورسول الله مريض ، فخرج الى الناس عاصبا رأسه من شدة الصداع فقال : انى رأيت فيما يرى النائم أن في عضدي سوارين من ذهب فكرتهما فنفختهما فطارا فأولتهما بكذاب اليمامة وكذاب صنعاء — ولم يشغله مرضه عن انفاذ أمر الله فأرسل الى نفر من الانصار فى أمر الاسود —

وكان قد أرسل الى من باليمن من المسلمين يأمرهم بقتال الاسود فقام معاذ فى ذلك وأصيب الأسود فى حياة الرسول قبل وفاته بيوم واحد —

وسنذكر ما كان من أمره وأمر غيره من المرتدين والمتنبئين في حروب الردة بعون الله وحسن توفيقه .

أمراء رسول الله وعماله على الصدقات

كان رسول الله قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات الى كل ما أوطأ الاسلام من البلدان

فبعث المهاجر بن أبي أمية الى صنعاء فخرج عليه الأسود العنسى وهو بها — وبعث زياد بن لبيد الانصارى الى حضرموت على صدقاتهم — وبعث عدي بن حاتم على طيء وصدقاتها وعلى بنى أسد ، وبعث مالك ابن نويرة اليربوعى على صدقات بنى حنظلة . وجعل الزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم على صدقات بنى سعد بن زيد مناة بن تميم — وبعث العلاء بن الحضرمى الى البحرين — وبعث على بن أبى طالب الى نجران

ليجمع صدقاتهم و جزيتهم ويعود ففعل وعاد فاتى رسول الله بمكة فى حجة الوداع .

كتاب مسيلمة الى رسول الله والجواب عنه

كان مسيلمة الكذاب قد كتب الى رسول الله : من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله . سلام عليك ، أما بعد فانى أشركت فى الامر معك ، وان لنا نصف الأرض ولقريش نصف الارض ولكن قريشا قوم يعتدون ، فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب ، فقال لهما رسول الله ماتقولان أنتما ، قالا نقول كما قال ، فقال أم والله لولا أن الرسل لاتقتل لضربت أعناقكما ، ثم كتب الى مسيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد « فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين »

حجة الوداع

خرج رسول الله الى الحج لخمس بقين من القعدة بعد أن تجهز وأمر الناس بالجهاز له لايذكر ولايذكر الناس الا الحج حتى اذا كان بسرف أمر الناس أن يحلوا بعمرة الامن ساق الهدى ، ثم دخل الرسول مكة وهنالك وافاه على في قفوله من اليمن فأشركه في هدية ثم مضى على حجه فأرى الناس مناسكهم وأعلمهم سنن حجهم ، وخطب الناس خطبته التى بين فيها للناس ما بين ، وكان الذى يبلغ عنه بعرفه ربيع ابن أمية بن خلف لكثرة الناس . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس اسمعوا قولى فاني لاأدري لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا

الموقف أبدا ـ أيها الناس ان دماءكم واموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هـذا ، وانكم ستلقوا ربكم فيسألكم عن اعمالكم وقد بلغت ، فمن كانت عنده امانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها وان كل ربا موضوع ، ولكن لكم رءوس اموالكم لاتظلمون ولا تظلمون ، قضى الله انه لاربا وان ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وان كل دم كان فى الجاهلية موضوع وان اول دمائكم اضع دم ابن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب (وكان مسترضعافي بنى ليث فقتله بنو هذيل) فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية ـ وهي خطبة طويلة قال فى آخرها وانى قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، كتاب الله وسنة نبيه ـ أيها الناس اسمعوا قولى واعقلوه ، تعلمن ان كل مسلم أخ للمسلم ، وان المسلمين اخوة فلا يحل لامرىء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم ، اللهم هل بلغت ، قال الناس اللهم نعم ، فقال اللهم اشهد ـ

وكانت حجة الوداع وحجة البلاغ وذلك أن رسول الله لم يحج بعدها وأرى الناس مناسكهم وعلمهم حجهم ـ ثم قفل فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وصفرا وضرب على الناس بعثا الى الشام وأمر عليهم أسامة بن زيد بن خارجة مولاه وأمره أن يوطى الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، وأن يغير على أبنا صباحا ، وهى القرية التي عند مؤته حيث قتل أبوه ، فتجهز الناس وأوعب مع اسامة المهاجرون الاولون

جملة غزوات رسول الله وما كان لها من الاثر

كان جميع ماغزا رسول الله بنفسه سبعا وعشرين غزوة ، قاتل منها في تسع غزوات : بدر واحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف — وكانت بعوثه وسراياه ثمانيا وثلاثين بين بعث وسرية — وكان من نتائج الغزوات أن قريشا ضعفت عن مناوأة النبي ثم اضطرت الى مهادنته ومصالحته ، وقضى على اثارها بقيته قبائل العرب ، فوفدت وفودهم على رسول الله يطلبون أن يسلموا ويعلمهم قواعد الأسلام ، أو يسالموا ويكتب لهم عهدا بالأمان على أن يؤدوا الجزية فكان يجيب كل وفد الى مايحب حتى أصبح العرب في جميع أنحاء الجزيرة بنعمة اخوانا متحابين سواء أكانوا مسلمين تجمعهم كلمة التوحيد والتصديق بما جاء به رسول الله من عند الله ، أم معاهدين تحوطهم العهود التي كتبها لهم النبي من أن يعتدي عليهم أحد أو يتعرض لهم في أنفسهم أو أولادهم أو أموالهم ، لهم مالمسلمين وعليهم ماعليهم في أي جهة من جهات الجزيرة كانوا — والخلاصة أن ماقام به الرسول من الغزوات والسرايا كانت نتيجته خضوع من في جزيرة العرب جميعا الى أحكام الأسلام وأعلم أن السريا التي كان يبعث بها رسول الله تشن الغارة على هل النواحي المختلفة من العرب التي لاسلطان لاحد عليها ، أو الخاضعة للروم أو الفرس إنما كانت لان هؤلاء تحدوا المسلمين ، أما بالاغارة عليهم بالفعل ، وأما بانهم يستعدون لهذه الاغارة ، ومن ذلك غزوة زيد بن حارثه بني فزارة بوادي القري ، وغزوة عبد الله بن رواحة لقتل ابن

رزام الذى كان بخيبر يجمع الناس لغزو النبى ، وغزوة عبد الله بن أنيس لقتل ابن سفيان الهذلى لانه كان بنخلة أو بعرنة يجمع الناس لرسول يغزوه ، وغزوة ابن أبى حدرد لقتل رفاعة بن قيس من بنى جشم لانه أراد أن يجمع قيسا على حرب رسول الله

﴿ ابتداء شكوى رسول الله ووفاته ﴾

بينا الناس يتجهزون لبعث اسامة سنة ١١ ابتدأ برسول الله مرضه الذى قبضه الله فيه ماأراده من كرامته ورحمته فى ليال بقين من صفر أو فى أول شهر ربيع الاول ، وكان يدور على نسائه حتى اشتد به مرضه فى بيت ميمونة ، فجمع نسائه فاستأذن أن يمرض فى بيت عائشة فأذن له (وكن تسعا وهن عائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب وأم حبيبة بنت أبى سفيان ، وزينب بنت جحش وجويرة بنت الحرث ابن أبى ضرار ، وصفية بنت حيى بن أخطب ، وأم سلمة بنت أبى أمية ابن المغيرة ، وسودة بنت زمعة ، وميمونة بنت الحرث بن حزن)

ثم خرج يوما بين رجلين الفضل بن العباس وعلى بن أبى طالب فجلس على المنبر ونودى فى الناس فاجتمعوا اليه فكان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم ثم قال ان عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله — ففهمها أبو بكر وعرف أن نفسه يريد فبكى وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال على رسلك ياأبا بكر ثم قال : انظروا هذه الأبواب اللافظة فى المسجد فسدوها الا باب أبى بكر ، فانى لاأعلم أحدا كان أفضل فى الصحبة عندى يدا منه

ثم أوصى بالانصار فقال : يامعشر المهاجرين استوصوا بالانصار خيرا فان الناس يزيدون ، وان الانصار على هيئتها لاتزيد ، ولنهم كانوا عيبتي التي أويت اليها ، فأحسنوا الى محسنهم ، وتجاوزوا عن سيئاتهم — ثم نزل فدخل بيته وتتام به وجعه — ولما استعز به قال : مروا أبابكر فليصل بالناس،فقالت عائشة: يانبي الله ان أبا بكر رجل رقيق ضعيف الصوت كثير البكاء اذا قرأ القرآن ، قال مروه فليصل بالناس ، فعادت عائشة الى مثل قولها فقال : انكن صواحب يوسف مروه فليصل بالناس فكان وصلى أبو بكر بالناس تسعة أيام ثم خرج رسول الله في اليوم العاشر منها يهادى بين رجلين أسامة والفضل بن عباس حتى صلى خلف أبي بكر

ويروى أنه خرج الى الناس وهم يصلون الصبح فكاد المسلمون يفتتنون فى صلاتهم به حين رأوه فرحا به، وتفرجوا فأشار اليهم أن اثبتوا على صلاتكم ، وتبسم سرورا لما رآى من هيئتهم في صلاتهم،ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن النبي قد أفرق من وجعه ، ورجع أبوبكر الى أهله بالسنح ، فما اشتد الضحى حتي توفى رسول الله

وكان ذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول ودفن من الغد نصف النهار .

وكان آخر كلمة تكلم بها صلى الله عليه وسلم : اللهم الرفيق الأعلى وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون

وكان آخر ما أوصى به الصلاة وما ملكت أيمانكم، حرك بها لسانه ومايكاد يبين

وكان لما اشتد وجعه ونزل به الموت يأخذ الماء بيده ويمسحه على وجهه ويقول: وأكرباه! فتقول فاطمة: واكربى لكربك ياأبت فيقول: لا كرب على أبيك بعد اليوم

أمر الناس عند الوفاة

لما توفي رسول الله كان أبو بكر بالسنح وعمر حاضر — فقام عمر فقال: ان رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفى وانه والله ما مات، ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدى رجال وارجلهم زعموا أنه مات — وقد سئل رضى الله عنه أيام خلافته عما كان منه من ذلك فقال: والله ان كان الذى حملنى على ذلك الا أنى كنت أقرأ هذة الآية (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) فوالله أن كنت لاظن أن رسول الله سيبقى فى أمته حتى يشهد عليها باخر اعمالها ولكنه روى من طريق آخر انه لما رجع الى رشدة قال فيما كان منه

لعمري لقد أيقنت أنك ميت ولكنما أبدى الذي قلته الجزع
وقلت: يغيب الوحى عنا لفقده كما غاب موسى ثم يرجع كما رجع
وكان هواى أن تطول حياته وليس لحى في بقا ميت طمع

لاشك أن الناس عن ما رنفعت الرنة وسجى رسول الله الملائكة دهشوا وطاشت عقولهم وافحموا واختلطوا، فمنهم من خبل، ومنهم من أصمت، ومنهم من أقعد، فكان عمر ممن خبل وجعل يصيح ويحلف ما مات رسول الله، وممن أخرس عثمان بن عفان حتى جعل يذهب به ويجاء

لا يستطيع كلاما. وكان ممن أقعد على فلم يستطيع حراكا، وأما عبدالله ابن أنيس فأضنى حتى مات كمدا

أما أبوبكر فكان مثلا أعلى فى الثبات والصبر، بلغه الخبر حيث هو فجاء وعيناه تهملان، وزفراته تتردد فى صدره، وغصصه ترفع كقطع الجرة، وهو في ذلك جلد العقل والمقالة، وأقبل وعمر يكلم الناس فلم يلتفت الى شيء حتي دخل على رسول الله فأكب عليه وكشف وجهه ومسحه وقبل جبينه، وجعل يبكى ويقول: بأبى أنت وأمى طبت حيا وميتا، وانقطع لموتك مالم ينقطع لأحد من الانبياء من النبوة، فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء، وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء، ولو أن موتك كان أختيارا لجدنا لموتك بالنفوس، ثم خرج لما قضى الناس غمراتهم وعمر يكلم الناس، فقال على رسلك ياعمر أنصت، فأبى ألا أن يتكلم، فلما رآه أبو بكر لاينصت أقبل على الناس فأقبلوا عليه وتركوا عمرا، فلما سمعو كلامه خطب فيهم خطبة حمدا لله وأثني عليه بما أهله، وصلى الله على نبيه كثيرا ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فان الله حى لايموت، ثم تلى قوله تعالى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين) قال عمر: فو الله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ، وأخذها الناس عن أبى فانماهى فى أفواههم، فوالله ماهو الا أن سمعت أبابكر تلاها فعقرت حتى وقعت على الارض ما تحملنى رجلاى وعلمت أن رسول الله قد مات

ولما وصل خبر وفاته صلى الله عيه وسلم الى مكة وعامله عليها عتاب ابن أسيد بن أبى العاص بن أمية ، استخفى عتاب وارتجت مكة ، وكاد أهلها يرتدون ، فقام سهيل بن عمرو على باب الكعبة وصاح بهم فاجتمعوا اليه فقال : ياأهل مكة لاتكونوا آخر من أسلم ، وأول من ارتد ، والله ليتمن الله هذا الأمر كما ذكر رسول الله ، فلقد رأيته قائما مقامى هـذا وحده وهو يقول : قولوا معي لااله الا الله تدن لكم العرب ، وتؤدى اليكم العجم الجزية ، والله لتنفقن كنوز كسري وقيصر في سبيل الله فمن بين مستهزىء ومصدق فكان مارأيتم . والله ليكونن الباقى فامتنع الناس عن الردة

وهذا هو المقام الذي قاله رسول الله لما أسر سهيل بن عمرو فى بدر لعمر بن الخطاب دعه ياعمر فسيقوم مقاما تحمده عليه ، وكان عمر قد قال لرسول الله دعنى أنزع ثنيتيه يارسول الله فلا يقوم عليك خطيبا أبدا

امر سقيفة بنى ساعدة

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز هذا الحى من الأنصار الى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، واعتزل على بن أبى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فى بيت فاطمة وانحاز بقية والمهاجرين الى أبى بكر وعمر ، وانحاز معهم أسيد بن حضير فى بنى عبد الاشهل ، فأتى آت الى أبى بكر وعمر فقال : ان هـذا الحى من الانصار مع سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة قد انحازوا اليه ، فان كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا الناس قبل ان يتفاقم أمرهم ، ورسول

الله في بيته لم يفرغ من أمره ، قد أغلق دونه الباب أهله ، قال عمر : فقلت لابي بكر انطلق بنا الى اخواننا هؤلاء من الانصار حتى ننظر ماهم عليه ، فانطلقنا نؤمهم حتي لقيا منهم رجلان صالحان فذكرا لنا ماتمالأ عليه القوم وقالا : أين تريدون يامعشر المهاجرين فقلنا نريد اخواننا هؤلاء من الانصار قالا : فلا عليكم أن تقربوهم ، يامعشر المهاجرين اقضوا أمركم قال عمر بوالله لنأتينهم ، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة فاذا بين ظهرانيهم رجل مزمل فقلت من هذا فقالوا سعد بن عبادة ، فقلت مالله ، قالوا وجع ، فلما جلسنا تشهد خطيبهم فاذا هو يقول : أما بعد فنحن أنصار الله ، وكتيبة الاسلام وأنتم يامعشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفت دافة من قومكم واذا هم يريدون ان يحتازونا من أصلنا ، ويغتصبونا الامر قال عمر فلما سكت أردت ان أتكلم ، وقد زورت في نفسي مقالة قد أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر وكنت أداري منه بعض الحد ، فقال : على رسلك ياعمر فكرهت أن أعصيه ، فتكلم وكان أعلم مني وأوقر فو الله ماترك من كلمة أعجبتني من تزويري الا قالها في بديهته أو مثلها . أو أفضل حتي سكت ، وقال : أما ماذكرتم فيكم من خير فانتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر الا لهذا الحى من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا ولم أكره شيئا مما قال غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنقى فيما يقربنى الى اثم أحب الىَّ أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، فقال قائل من الأنصار : أنا جذيلها المحكك ، وعزيقها المرجب ، منا

أمير ومنكم أمير يامعشر قريش ، وارتفعت الاصوات حتى تخوفت الاختلاف فقلت : أبسط يدك ياأبا بكر فبسط يده فبايعته ثم بايعه المهاجرون ثم بايعه الانصار . ونزونا على سعد بن عباده ،فقال قائل منهم:قتلتم سعدبن عبادة ، فقلت قتل الله سعد بن عبادة ، وأنا والله ماوجدنا أمرا هو أقوى من بيعة أبي بكر خشيت ان فارقت القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة فاما ان نتابعهم على مانرضى به وأما أن نخالفهم فيكون فساد . هذا وسنأتى على رواية اخرى فى هذا الشأن عند الكلام فى كيفية استخلاف الصديق رضى الله عنه

(تجهيز رسول الله ودفنه)

فلما بويع ابو بكر البيعة العامه على مايجيىء أقبل الناس على جهاز النبى ، ودفن يوم الثلاثاء . وتولى غسله على ، والعباس ، والفضل وقثم ابناه ، واسامة بن زيد وشقران ، مولياً رسول الله ، وكفن فى ثلاثة أثواب ،ثوبين صحاريين وبرد حبره ادرج فيها ادراجا،ودفن فى بيت عائشة موضعه ، وحفر له أبوطلحة الأنصاري لحدا ، ودخل الناس فصلوا عليه ارسالا ، و كان عمره صلى الله عليه ثلاثا وستين سنة

ولما توفى الرسول عظمت به مصيبة المسلمين فكان موته خطبا كالحا،ورزءا فادحا،لانقطاع خبر السماء،وفقد من لاعوض منه،ومما آذن به موته من الفتن والحوادث ، قالت عائشة (رضى الله عنها) لما توفى رسول الله ارتدت العرب واشرأبت اليهودية والنصرانية ، ونجم النفاق وصار المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية حتى جمعهم الله على أبى بكر

هذا وقد رثاه غير واحد من المسلمين وبخاصة حسان بن ثابت الانصارى، فقد قال وأطال، وبكى وأبكي، ولقد استحسنت ان اذكرا هنا ماقاله سفيان بن الحرث بن عبد المطلب يبكي رسول الله وهو

أرقت فبات ليلى لايزول ... وليل أخى المصيبة فيه طول
وأسعدنى البكاء وذاك فيما ... أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت ... عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحى والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ماسالت عليه ... نفوس الناس أوكربت تسيل
نبى كان يجلو الشك عنا ... بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا ... علينا والرسول لنا دليل
أفاطم ان جزعت فذاك عذر ... وان لم تجزعى ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر ... وفيه سيد الناس الرسول

﴿ حديث الأسود العنسى باليمن ﴾

واذ كان ظهور هذا الحديث فى حياة الرسول، بل وان أمره انتهى بعد الوفاة بقليل فقد رأينا ان نذكر ماكان من حديثه فى سيرة رسول الله عليه السلام

اسمه عيهلة، وعنس بطن من مَذْحِج، وكان يلقب ذا الخمار لانه كان معتما متخمرا أبدا

وكان رسول الله قد جمع لباذان حين أسلم وأسلم أهل اليمن، جميع أرض اليمن وأمّره على مخاليفها. فلما مات فرق الرسول امرائه

فى اليمن : فاستعمل شهر بن باذان على صنعاء ، وأبا موسى على مأرب ، وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران و زبيد ، وعلى أعمال حضر موت زياد بن لبيد الأنصارى ، واستعمل غيرهم نواح أخرى ، أما معاذ بن جبل فكان معلما يتنقل فى عمالة كل عامل

وكان الأسود قد علم بموت رسول الله على أثر عودته من حجة الوداع فادعى النبوة ، وكان مشعبذا يريهم الأعاجيب فاتبعته مذحج ، وكانت ردته ول درة فى الأسلام ، وغزا نجران وأخرج منها عامل رسول الله ، ووثب قيس بن المكشوح على فروة بن مسيك المرادى ، وهو على مراد فأجلاه وأنزل منزله ، وسار الأسود من نجران الى صنعاء فخرج اليه شهر فلقيه فقتل شهر وتزوج الأسود أمراته ، وخرج معاذ بن جبل هاربا حتى لحق بأبى موسى ثم لحق بحضر موت ، ولحق بفروة من ثم على اسلامه من مذحج واستتب ملك اليمن للأسود ، ولحق أكثر أمراء اليمن بالطاهر بن ابى هالة ، وهو يومئذ على جبال عك وجبال صنعاء ، واستطال ملك الأسود حتي غلب على مابين الطائف والبحرين والأحساء وعدن ، واستطار أمره كالحريق ، و كان خليفته في مذحج عمرو بن معديكرب الزبيدى ، وخليفته على جنده فروة بن مسيك و كان أمر ابناء اليمن الى فيروز وداذويه — وخاف من بحضر موت من المسلمين أن يرسل الأسود ، اليهم جيشا ، أو يظهر بها كذاب مثله ثم ما هو الا أن جاء اليهم والى من باليمين من المسلمين كتاب النبي يأمرهم بقتال الأسود ، فقام معاذ فى ذلك ، وقويت نفوس المسلمين ، وكان الذى قدم بكتاب النبي وبر بن يحنس الازدى قال جسندس الديلمي فجائنا كتب النبى

يأمرنا بقتاله ، اما مصادمة وأما غيله (يريد نفسه وفيروز وداذويه) وان نكاتب من عنده دين، فعملنا في ذلك فرأينا أمرا كثيفا ، وكان الاسود قد تنكر لقيس بن المكشوح فقلنا ان قيسا يخاف على دمه فهو لأول دعوة، فدعوناه وأبلغناه عن النبي ، فكأنما نزلنا عليه من السماء فأجابنا ، وكاتبنا الناس،

ويظهر أن الأسود علم بهذه المؤامرة ، وأراد أن يقتل قيسا فأخبره أن شيطانه يأمره بقتله ليميله الى عدوه ، فخلف قيس لأنت أعظم في نفسي من أن أحدث نفسي بذلك ثم جاءهم فقال : ياجسنس ويافيروز وياداذويه ، ثم حدثهم بما جرى بينهم وبين الاسود ، قال جسنس فبينا نحن معه يحدثنا اذ أرسل الينا الاسود فتهددنا فاعتذرنا اليه ونجونا ، ولم نكد وهو مرتاب بنا ونحن نحذره ، فبينا نحن على ذلك اذ جاءتنا كتب من جهات شتى يبذلون لنا النصر ، فكاتبناهم وأمرناهم الا يفعلوا شيئا حتى نبرم أمرنا ، وانما احتاجوا لذلك حين كاتبهم النبي وكتب أيضا الى أهل نجران فاجابوه ، وبلغ ذلك الأسود وأحس الهلاك

أعمال الحيلة والغدر

قال جسنس فدخلت على امرأته التي تزوجها وكانت لشهر وهي ابنة عم فيروز ، فدعوتها الى ما نحن عليه ، وذكرتها قتل زوجها شهر واهلاك عشيرتها وفضيحة النساء ، فأجابت ، وقالت : أعلموني امركم أخبركم بوجه الأمر ، فخرجت وأخبرت صاحبي وقيسا ، واذقد جاء رجل الى قيس فدخل عليه فى عشرة من مذحج وهمدان فلم يقدر

على قتله معهم ، ولكنه قال له ان شيطانى يقول لى : ان لاتقطع من قيس يده يقطع رقبتك ، فاعتذر قيس فرق له وتركه وخرج قيس فمر بناوقال: اعملوا عملكم ولم يقعد عندنا ـ فخرج علينا الاسود فى جمع فقمنا له، فقال: أحق: مابلغنى عنك يافيروز ؟ وبوأ له الحربة ، لقد هممت أن أنحرك، فقال له فيروز لقد اخترتنا لصهرك، وفضلتنا على الأبناء، وغير هذا من الكلام الرقيق وكان رجل يسعى بفيروز وهو يسمع فقال له أنا قاتله غدا وأصحابه، ثم رجع فيروز فاخبرنا بما سمع فارسلنا الى قيس فاجمعنا على ان أعود الى المرأة فاخبرها بعزيمتنا، ونأخذ رأيها، فأتيتها فأخبرتها ، فقالت: هو متحرز وليس من القصر شيء الا والحرس محيطون به غير هذا البيت، فان ظهره الى مكان كذا وكذا ، فاذا أمسيتم فانقبوا عليه فانكم من دون الحرس ، وليس دون قتله شيء وستجدون فيه سراجا وسلاحا ، قال: فتلقانى الأسود ووجأ رأسى حتى سقطت ، فصاحت المرأة فادهشته عنى وقالت جاء ابن عمى زائرا ففعلت به هذا فتركنى فاتيت أصحابى فقلت النجاء الهرب ، واخبرتهم الخبر ، فانا على ذلك حيارى اذ جاءنا رسولها يقول : لاتدعن ما فارقتك عليه . فقلنا لفيروز ائتها فنثبت منها، ففعل ، فلما أخبرته قال : ننقب على بيوت مبطنة ، فدخل فاقتلع البطانة، وجلس عندها كالزائر ، فدخل عليها الاسود فأخذته غيرة ، فأخبرته برضاع وقرابة منها فأخرجه

فلما أمسينا عملنا فى أمرنا وأعلمنا أشياعنا ، وعجلنا فنقبنا البيت من خارج ودخلنا ، و انتهينا بفيروز (اذ كان أشدنا) فقلنا انظر ماذا ترى ، فخرج ونحن بينه وبين الحرس ، فلما دنا من البيت

سمع غطيطا شديدا والمرأة قاعدة . فتكلم الاسود وقال مالى ومالك يا فيروز ، فخشى ان يهلك و تهلك المرأه ، فعاجله وخالطه وهو مثل الجمل فأخذ برأسه فقتله ودق عنقه ووضع ركبته فى ظهره فدقه ، ثم قام ليخرج فأخذت المرأة بثوبه وهى ترى أنه لم يقتله ، فقال: قد قتله وارحتك منه ، وخرج فأخذنا فدخلنا معه ، فاذا الأسود يخور كما يخور الثور، فقطعت رأسه بالشفرة ، وابتدر الحرس المقصورة يقولون ما هذا ؟ فقالت المرأة : النبي يوحي اليه فخمدوا ، وقعدنا نأتمر بيننا كيف نخرأشياعنا فاجتمعنا على النداء ، فلما طلع الفجر نادينا بشعارنا الذي بيننا وبين أصحابنا ففزع المسلمون والكافرون ، ثم نادينا بالاذان والقينا اليهم رأسه ، وأحاط بنا أصحابه وحرسه ، وشنوا الغارة وأخذوا صبيانا كثيرة وانتهبوا ، ثم راسلونا وراسلناهم على أن يتركوا لنا ما فى أيديهم ، و نترك ما فى أيدينا، ففعلنا ولم يظفروا منا بشيء وترددوا فيما بين صنعاء ونجران وتراجع أصحاب النبى الى اعمالهم ، وكتبنا الى رسول الله بخبره ، فقدمت رسلنا وقد توفى الرسول فأجابنا أبو بكر

وكان امر العنسى من اوله الى آخر ثلاثة أشهر والمتتبع لاخباره في التدبير عليه يفهم أنه لما خرج الاسود قام فيروز وذا ذوية وجشيش بالأمر ثم انضم اليهم قيس . فكانوا أربعتهم أشبه شيء برؤساء جماعة سرية لهم شعار يعرفه من كان على رأيهم فى وجوب اراحة الناس جميعا من هذا الشرير الذي لا يقوم لله على حق ولا ينتهى عن محرم ؟

تركة رسول الله

كان رسول الله زاهدا في الدنيا معرضا عنها مقتنعا بالبلاغ منها ، وقد دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جسمه فقال له: لو اتخذت فراشا أوطأ من هذا ، فقال مالي وللدنيا ، والذي نفسي محمد بيده ما مثلي ومثل الدنيا الا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من النهار، ثم راح وتركها

هذا شأن النبي وقد ملك من أقصى الحجاز الى عذار العراق ، ومن أقصى اليمن الى شحر عمان ، وهو أزهد الناس فيما يقتنى ويدخر ، وأعرضهم عما يستفاد ويحتكر ، لم يخلف عينا ولا دينا ، ولا حفر نهرا ، ولا شيد قصرا ، ولم يورث اهله متاعا ولا مالا ، وقد مات ودرعه مرهونة عند يهودي على آصع من شعير لطعام أهله

هذا شان النبي وقد ملك جزيرة العرب ، وكان فيها ملوك وأقيال لهم خزائن وأموال ، يقتنونها ويتباهون بها فخرا ويستمتعون بها اشرا وبطرا ، وقد حاز ملكهم ، فما اقتنى دينارا ولا درهما ، وكان قد حاز غنائم هوازن وما أكثرها كما سلف فجاد بجميع حقوقه منها وعاد خلوا

مات وله فدك خالصة من دون المؤمنين ، فصارت بعد موته للمسلمين وجاءت فاطمة الى أبي بكر تريد أن ترثها فذكرها بقول أبيها: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ، فكفت ، وبعد فتحقيق بمن كانت هذه بعض إخلاقه ان يكون لزعامة العالم اهلا وبالنيابة عن الناس في مصالحهم اولى - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

حياة رسول الله واثر الاسلام فى العرب

مما تقدم نستنبط أن حياة الرسول عليه الصلاة والسلام انقسمت الى الاقسام الآتية :

(١) حياة التعبد والاعتكاف عن الناس الى طلب الدين الحق، دين فاطر السموات والارض ، وكان يقصد غار حراء معتزلا أهل مكة لايشاركهم فيما ينغمسون فيه من الملاهي ومايجرى اليها ، ولا فيما يعبدون من الاوثان، أو ينتحلون من مذاهب الشرك ، ظل هذا سبيله الى ان نزل عليه الروح الأمين ، وفي هذه الفترة كان له من الناحية الخلقية منزله عظمى بين قومه حتى دعوه بالامين

(٢) حياة الوحى والرسالة وقيامه بتبليغ ما انزل اليه من ربه ، وكان يدعوا الى ذلك سرا ، ثم امره الله ان يجهر بالدعوة ويعرض عن المشركين ، وانزل عليه (انا كفيناك المستهزءين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون ۞ ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) ولقد لقي من المشركين ضروبا من الاذى ، فسخروا منه وتلقوه بما يكره ، ورموه بالحجارة وهموا بقتله ، وكذلك صنعوا مع آمن به وصدق دعوته ، ولكن ذلك لم يثنه عن دعوته ولم يزعزع ايمان اصحابه بل كلما زادوهم أذي ، زاد واثباتا ، وجاهدوا وصبروا على ضعفهم وقلة عددهم واموالهم، لى ان اشتد الاذي فأذن اليهم فى الهجرة الى الحبشة مرتين، ثم هاجر بقيتهم الى المدينة بعد ذلك ولحق بهم

(٣) حياة ما بعد الهجرة الى المدينة ، وذلك حينما يئس من اهتداء

أهل مكة ، وبعد تعرض القوم له بالاذي بعد وفاة أبي طالب ، وبعد أن عرض نفسه على القبائل فلم يستجب اليه ، فلما جاء الانصار وبايعوه على أن يهاجر اليهم ، خرج الى المدينة وهنالك آخى بين المهاجرين والانصار فاشتد بذلك ساعده وصار منذ تم له ذلك في جيش يتمكن به من الدفاع عن دعوته وعن اصحابه ، وأصبح قائدا عاما وحاكما يحكم بينهم بما أنزل الله ، ومازال يدافع المهاجمين له والمحرضين عليه ويحارب المحاربين له والمتجمهرين عليه حتى فتح مكه ودخل كثير من زعماء أهلها وقادتهم في الاسلام وخبت نار العداء فجاءته الوفود من كل ناحية مسلمة مسلمة حتى لم يبق في نواحي بلاد العرب من يشرك بالله شيئا ، بل دانوا له جميعاً ، وصارت كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا الى ان اختار عليه السلام الرفيق الاعلى

أما اثر الاسلام في العرب فواضح من انه ازال ما كان بينهم من احن ، والف بين قلوبهم فاصبحوا اخوانا بعد ان كانوا اعداء ، وقضى على الرذائل التي كانت شائعة فيهم كالوأد خشية العار أو فرارا من النفقة ، والفحش الذى لم يك معه للعفاف قيمة ،

وأطلق الناس من قيود الاستعباد للرؤساء الذين ضلوا في عقائدهم وأهوائهم وغلبتهم على الحق شهواتهم ونزعات ميولهم ، فأطاعهم رهبة أو رغبة جماعة الرعايا الذين ظنوا أنهم لم يخلقوا الا لخدمة سادتهم وتوفير لذاتهم ، وجاء الاسلام فجهر بان الانسان لم يخلق ليقاد بالزمام ، وانزل هؤلاء الرؤساء الى مصاف العامة وجعلهم ومرءوسيهم سواسية في الحق ولاتفاوت بينهم الا بتفاوت اعمالهم

كما فكهم من أسر التقليد تقليد آبائهم الاولين فى ضروب السفة والحمق ، والانقياد الاعمى للرأى ، وبهذا وما سبقه تم للمسلمين الاستقلال فى الارادة ، والاستقلال فى الرأى ، ولا كمال الانسان بغيرها

على أننا لن ننسى ان الاسلام جمع العرب على دين واحد وهو التوحيد بعدان كانوا قد فرقوا دينهم شيعا وكانوا متنابذين متلاعنين فى فوضى دينية وجمعهم على رئيس واحد داو حاكم واحد ، هو رسول الله وخلفاؤه من بعده ، بعد ان تعدد حكامهم ورؤساؤهم وكانوا فى فوضى سياسية .

وبذلك يكون الاسلام قد جمعهم الى وحدة لم يعرفها تاريخهم ولم يعهد لها نظير فى ما ضيهم ، فتحولت اهواؤهم عن اللذائذ الفانية الى طلب الرغائب السامية . وتحول ما كانوا عليه من بغي وعدوان ونهب وسلب ، الى حالة اخرى امتلأت قلوبهم فيها غضبا لله ولدينه ؛ وكان الرسول قد بلغ رسالته الى ملوك الفرس والروم والحبشان فامتنعوا اوترددوا واخافوا السابلة وضيقوا على المتاجر فبعث اليهم البعوث فى حياته وتبعه فى هذا خلفاؤه الراشدون فكان المسلمون يتدافعون الى غزوهم تدافع السيل الجارف حتى ملكوا عليهم بلادهم ؛ وفى أقل من قرن كان الاسلام منتشراً فيما بين بلاد الصين من الشرق والمحيط الاطلسى من الغرب ، وذلك كله فضل الوحدة واجتماع الكلمة فى جزيرة العرب

أما انتشار الاسلام بهذه السرعه فيرجع الى أنه دين سهل معقول وهو أمس بمصالح الناس ، وأقرب الى قلوبهم ومشاعرهم وأدعى الى الطمأنينة . ودين هذه بعض صفاته يجد الى العقول منفذاً والى القلوب

مخلصاً ، ولو أن أهله استمسكوا بعروته الوثقى وعملوا على مقتضى أصوله وقواعده المحكمة لظلت رايتهم تخفق على ذلك الملك الواسع الاطراف الى اليوم

تتـــمة

ليس ماذكرناه فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات وخوارق العادات التى جاء بها للتحدى ، وإنما كانت من الاحداث الموفقة فقط ، الصادرة عن رجل من البشر أوتى الحكمة « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيرا » إذ كان فذا في رجاحة عقله ، مفردا في أحكام تدبيره وقد رسم بما أبرم من الامور ، وأحكم من التدبير . سبيل النجاح للذين ينتهجون مناهجه ، وبين طريق الفلاح للذين كان لهم فى رسول الله أسوة حسنة ، وإذا كانت سيرته منهاجا يحتذى فهي ليست من باب المعجزة ، اذ المعجزات خاصة بمقام النبوة لاتتعداه ، وإلا فما باله يستشيرهم ، ثم مابالهم يشيرون عليه ، ومابالهم يرسم الخطط ، ويعد العدة وينتصر وينهزم ، ألم يك انتصاره نتيجة ماوضع من الخطط والخدع الحربية ، ثم ألم يك انهزام جيشه نتيجة ملازمة للاخلال بما كان قد وضع من هذه الخطط ، ثم ألم يك كل ماصنع من هذا القبيل أمراً عاديا يتداوله القادة والجند فى زمان ومكان ولا دخل للاعجاز فيه لانه جاء على مايعهده الناس وأسس على أسباب وأجرى على أساليب طبعية

وليس مانقرره من هذا انكار الشيء من الوحى والنبوة ولا جحودا بما كان الله يمده به أحيانا من الملائكة المقربين لينصره على المشركين في ظروف حرجة ليثبت بذلك الذين آمنوا ويزلزل أقدام الذين كفروا

وكان حقا على الله نصر المؤمنين وخذلان الكافرين؛ لانهم شاقوا الله ورسوله

غير أن الذي يكاد يكون اعجازا حقا هو ملتم على يدى رسول الله من الحوادث العظمى التى لاتتم الواحدة منها الا فى قرون طويلة فى مدى عشر سنوات فقط . ومنها ما أقصه عليك .

(١) أنشأ أمة متألفة متعاونة من قبائل العرب المتباغضة المتطاحنة وأعدها إعدادا صحيحا لأن تتبوأ مكانتها بين أمم الارض ذات التاريخ المجيد والفتح المبين والملك العريض ، والدولة القوية التى عنت لها وجوه الاكاسرة والقياصرة ؛ وصار ابناؤها يرون بحق انهم أهل للسيادة على العالم ، وأولى بقيادة الامم ، ونشر العدل والسلم على الارض وصار فى ت أقل من قرن تخفق راياتها على البلاد الممتدة من جدار الصين شرقا الى المحيط الاطلسى غربا

(٢) أنشأ ملة وهي الدين الاسلامى دين التوحيد الذى ضم سكان القفار العربية الى وحدة لم يعرفها تاريخهم ولم يعهد لها نظير فى ماضيهم فاجتث جذور الوثنية ، وطهر عقولهم من الاوهام الفاسدة ، فأصبح الفرد منهم بالاسلام حرا لايخضع الا لله الواحد القهار ، لا للاحجار ، ولاللاشجار ولا للكهنة والعرافين ولالما يتوارث عن الآباء من ضروب المقائد السخيفة ، وأنواع السفاهة والجهالة — ثم أصبح ذلك البدوى الجلف الوحشى انسانا كريم الاخلاق ، مهذب النفس راقى العواطف الى حدانه صار يتوقد غيرة وعطفا على البشريه المعذبة التي تئن تحت سيطرة الفرس والروم ، وتستغيث برب الناس ليرسل اليها

من ينقذها من هذا الاستعباد، ويخلصها من هذا الظلم ، وقد حملت العواطف ذلك البدوى بعد ان أسلم على ان يضحى بنفسه وماله فى سبيل انقاذ الانسان المظلوم من الانسان الظالم ، فهل عمل الاسلام فى نفسه عمل السحر حتى استحال بين عشية وضحاها من حال الى حال . سبحانك اللهم قدرت فهديت من شئت الى صراط مستقيم

(٣ شرع قانونا أو جاء من عند الله بدستور عام هو القرآن الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذى آخذ العلماء من الملل المختلفة على ما أفسدوا من العقائد ، وما خلطوا فيه من الاحكام وما حرفوه بالتأويل ، والذى شرع للناس أحكاما تتفق مع مصالحهم، وجاء بحكم ومواعظ وآداب خشعت لها قلوبهم ودهشت لها عقولهم، وانصرفت وراءها هممهم ، والذي حث على التعليم والارشاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلما اذعن اليه العرب بعد اسلامهم اقاموا صروح دولهم عليه وجعلوه حجتهم القائمة على الامم الاخرى فى احكام احكامه وتقريره قواعد العدل والانصاف والحريه والمساواه

كل هذا تم فى ربع قرن ثم كان له بعد ذلك فى الامة الاسلامية وحياتها المجيدة شأن عظيم

لقد احدث الاسكندر دولة، واحدث نابليون دولة. واحدث محمد علي باشا دولة ، ووضع كل منهما لدولته من النظم ماظن انه يكفل لها السعادة ولكن كل منهم اقام دولته في امم لها عهد بالملك والنظام ، فلم يطرأ عليها جديد الا ذلك القائم بها وهو المتغلب — وفرق بين هذا وبين ملك وشرع يضم سكان الصحاري العربية المتنافرة المتعادية التى لا عهد

لها الا بالخروج على النظام ، لاقانون يخضعها ولا سلطان يجمع كلمتها

والسر فى هذه السرعة يرجع الى ان الاسلام دين الفطرة ، يحق الحق ويبطل الباطل ، ويخاطب العقول ، ويحدد الحقوق ، ويدوي بين جميع الطبقات فى احترام النفس والدين والعرض والمال

كما يرجع ما اتصف به رسول الله من اعتقاده صحة مايدعو اليه ، وثقته بتأييد الله ، واجتهاده في نشر دعوته بجميع الوسائل المشروعة وثباته وصبره على ما كان يلاقيه من اذى اقرب الناس اليه وهم اهله وعشيرته الذين نصبوا انفسهم لتحديه وعناده وتحريض القوم عليه — لكنه قام بهذه الدعوة وحده صابرا ، وقومه مابين مستهزىء به وغافل عنه ومستعد عليه ، أما هو فكان يقارعهم بالحجة ويناهضهم بالدليل ويأخذهم بالنصيحة ويزعجهم بالزجر وأخيرا سفه احلامهم ، وضلل آبائهم وسخر من آلهتهم ، وانذرهم عذابا أليما ، والى ذلك صباح مساء حتى أخذتهم العزة بالاثم واجمعوا أمرهم بينهم على قتله ليريحوا الناس منه لولا ما كان من حماية عمه أبي طالب اياه

بهذه الاخلاق وما ماثلها ، نجح فى فتحه ونشر دين الله واعلان أحكامه فى ذلك الزمن القصير الذى أصبح العرب فيه أمة : من الدين على التوحيد ، ومن الاخلاق على شرعة الفلاسفة الذين قتلوا الغرائز والميول بحثا ، وما أدراك أن أثر ذلك قد ظهر بعد قرن واحد اذ سارت الامة العربية دولة الزمان ، وقد تغيرت بفتوحها عقائد ولغات وعادات ان فى ذلك لاذكرى لاولى الالباب وصلى الله على سيدنا وعلى آله وصحبه وسلم